African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 2, April-June 2023, Page No: 521-544
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2022: 1.04 SJIFactor 2022: 4.338 ISI 2022: 0.510

آثار الكنيسة اللوثرية على عالم النصراني

بليدار بن توفيق حجي*
باحث الدكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، المـملكة العربية السـعودية

Effects of the Lutheran Church on the Christian World

Bledar Tefik Haxhiu*
PhD Researcher, College of Sharia and Islamic Studies, Department of Doctrine and contemporary ideology, Qassim University, Qassim, Saudi Arabia

*Corresponding author rrugequmshti@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-05-16 **تاريخ القبول:** 2023-05-08 **تاريخ الاستلام:** 2023-04-03

الملخص:
إن للكنيسة اللوثرية دورًا مهمًا في العالم النصراني مع مؤسسها الراهب الألماني مارتن لوثر، فهو صاحب الانطلاق بما يعرف بعملية الإصلاح الديني في غرب النصراني، ولا شك أن هذه العملية أيقظ الشعوب الغرب التي كانت تحت بطش سلطة الكنيسة روما ونظام البابوي الذي تجاوز جميع الحدود. ولا شك أن مذهب الجديد الذي تولد منه الكنائس البروتستانتية، أثرت على عالم النصراني، فأحدث الشرخ الكبير، كما لعب دورا في مفهوم الديني، ونمط السياسي، وتحولات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: آثار، الكنيسة، اللوثرية، عالم، النصراني.

Abstract
The Lutheran Church has an important role in the Christian world with its founder, the German monk Martin Luther. He is the one who initiated what is known as the process of religious reform in the Christian West. There is no doubt that this process awakened the peoples of the West who were under the oppression of the authority of the Church of Rome and the papal system that crossed all borders. There is no doubt that the doctrine of the new, from which the Protestant churches are born, affected the Christian world, causing the great rift, and it also played a role in the religious concept, the political pattern, and social transformations.

Keywords: Effects, Church, Lutheran, Christian, world.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الموضوع التأثير الذي لعبت الكنيسة للوثرية على عالم النصراني لها أهمية بالغة، والتي سأبينها من خلال النقاط التالية:

1. الحاجة إلى إبراز دور الذي لعب الراهب مارتن لوثر والكنيسة اللوثرية في تغيير خارطة النفوذ لسلطة البابان وكنيسة روما.
2. شدة حاجة المجتمعات المسلمة لإيضاح صورة الحقيقية بما مر بها عالم النصراني، من الافتراق واختلاف، فتعددت كنائسهم وصاروا شيعًا وأحزابًا، وسالوا دماء البرية، وأنشئوا محاكم التفتيش التي ستبقى وسمة عار على عالم النصراني.
4. بيان التغييرات التي أحدثت الكنيسة اللوثرية في مفهوم الديني، ونمط السياسي، وتحولات الاجتماعية.

خطة البحث:
لقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، والخاتمة:
المقدمة: وفيها
أهمية البحث، خطة البحث، التعريفات.
المبحث الأول: آثار الكنيسة اللوثرية في الجانب الديني، وفيه ثلاثة مطالب.
المطلب الأول: الصورة الجديدة للعالم وأثرها على الإيمان بالنص الديني.
المطلب الثاني: ظهور مدارس النقد في أوساط المسيحية.
المطلب الثالث: اللاهوت الجديد وحوار الأديان.
المبحث الثاني: آثار الكنيسة اللوثرية على النمط السياسي، وفيه ثلاثة مطالب.
المطلب الأول: جدل اللاهوت والسياسة.
المطلب الثاني: اللوثرية وموقفهم من الدولة والعنف.
المطلب الثالث: التغييرات التي أحدثتها اللوثرية.
المبحث الثالث: آثار الكنيسة اللوثرية في التحولات الاجتماعية، وفيه مطلبان.
المطلب الأول: نظرة اللوثرية لحرية الفرد والمجتمع.
المطلب الثاني: اللوثرية والقيم.
الخاتمة
القائمة المراجع

تعريف مختصر عن اللوثرية.
تعريف (اللوثرية) في اللغة:

المصطلح اللوثريّ نشأ كاسمٍ ازدرائيٍّ استخدمه عالم اللاهوت الألماني يوهان إيك(1) ضدَّ الراهب مارتن لوثر خلال مناظرة في يوليو 1519م. اتَّبع إيك الممارسة التقليدية المتمثِّلة في تسميةِ بدعةٍ على اسم زعيمها؛ وبالتالي: وصف كل من اعتنق لاهوت مارتن لوثر على أنه اللوثريّ(2).

تعريف (اللوثرية) في الاصطلاح:

اللوثرية هي طائفة من الطوائف النصرانية، والتي تتبع تعاليمَ، وممارساتٍ، ومذهبًا، أي: يقوم تفسيرهم للدين المسيحي على مذهبِ راهبِ القرونِ الوسطى مارتن لوثر -رغم مقاومة لوثر نفسه لهذه التسمية-(3). ويُسمَّون ايومنا الحاضر بـالكنيسة الإنجيلية اللوثرية(4).

---

(1) هو: يوهان ماير فون إيك (1486-1543م)، عالم اللاهوت الألماني، كان طبيبًا وأستاذًا في علم اللاهوت، ونائب رئيس الجامعة بروكانزلر. تميَّز بمعارضته للفلسفة المدرسية، وهو أكبر وأهم المعارضين لمارتن لوثر. ينظر: قصة الحضارة، ول ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين: (204/23)، دار الجيل، بيروت- 1988م.

(2) ينظر: The Encyclopedia of Protestantism, Hans J. Hillerbrand, (v. 3, p. 2155) Published New York ، 2004؛ والموسوعة اللوثرية على الإنترنت: http://cyclopedia.lcms.org/display.asp?t1=L&t2=u.

(3) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط4: (618/2)، دار الندوة العالمية- ١٤٢٠هـ؛ وموسوعة البريطانية https://www.britannica.com/topic/Lutheranism

(4) ينظر: مدخل إلى الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، عيسى دياب، ط1: (ص 10)، المدرسة اللاهوتية المعمدانية، لبنان-2009م.

تعريف مختصر بمارتن لوثر:

ولد مارتن لوثر في آيزليبن وهي قرية صغيرة في ساكسونيا بألمانيا، من والدينِ وضيعيِ القدر، هما يوحنا لوثر، ومرغريت لنديمان(5).

نشأ مارتن لوثر في بيئة قاسية؛ حيث كان يؤمن أكثر الآباء بالعصا كوسيلة سحرية للتربية ولتقويم أخلاق الأبناء. ولم يَسلم مارتن لوثر من هذه الأساليب، والتي تركت انطباعات كثيرة وتأثيرات عميقة في شخصيته، ودفعته إلى نوعٍ من الانطوائيَّة، وكانت سببًا في أخذ بعض القرارات المهمَّة في حياته(6).

كان والد مارتن محبًّا للعلم والمعلِّمين، فكانت رغبته في الحياة أن يجعل ابنه الأكبر معلِّمًا؛ لذا لمَّا بلغ الابنُ سنَّ السادسة أو السابعة، أرسله إلى مدرسةٍ؛ لكي يحصل على أكبر قسطٍ من التعليم حتى يستطيع أن يصبح رجلًا متعلِّمًا ومثقفًا(7).

أَنْهَى مارتن لوثر دراسته الثانوية في مدينة إيزناخ الألمانية عندما كان في الثامنة عشرة من عمره، ومع أن أباه لم يكن مثقفًا إلا أنه كان يطمح في مستقبل جيّد لابنه، لذا قرَّر أن يُلحق ابنه بالجامعة لإتمام دراسته، فسجَّله في جامعة إرفورت، في مايو 1501م، وكان هو أصغر طالب حصل على درجة البكالوريوس في الآداب(8).

وفي سنة 1505م حصل لوثر على درجة الماجستير في الآداب، وهي درجة تضمَّنت دراسة وتدريس الفنون والأدب وفلسفة أرسطو. وبعدما حصل لوثر على درجة الماجستير في الآداب، بدأ يُلقي محاضرات في جامعة "إرفورت"، وفي نفس الوقت يتابع دراسته في كلية الحقوق؛ نزولًا على رغبة أبيه وتحقيقًا لها. لكن لم يمرَّ سوى شهرين من دراسته للقانون حتى قرَّر لوثر ترك الدراسة والدخول في حياة الرَّهبنة.

في عام 1512م، قام مارتن لوثر برحلته الوحيدة خارج الأراضي الألمانية، حيث سافر إلى روما لعلاج مشكلة تتصل بالنظام الأوغسطيني، وبعد رحلته لروما تحقَّق عنده أن الكنيسة بحاجةٍ إلى الإصلاح، وبدأها بالفعل لما قام الراهب تيتزل(9) ببيع صكوك الغفران(10) بأمرٍ من البابا ليو العاشر(11)، فأعدَّ لوثر حينها أطروحةً فيها 95 قضيَّة باللغة اللاتينية، وسَمَّرَها على باب الكنيسة في ويتنبرغ(12).

لكن سرعان ما تعرَّض لوثر لهجمات شرسة مِن قِبل رجال الكنيسة الكاثوليكية، وعُقدت -بسبب آرائه- مجالسُ التحكيم أمام الأمير فريديريك الحكيم(13) وممثِّل البابويَّة في أوغسبورغ؛ لإرغامه على الرجوع عن آرائه. وبعد مساجلات -بين لوثر وممثِّل البابويَّة- رفض لوثر الرجوع عن آرائه، فأصدر البابا مرسومًا بحرمانه وطرده وحرق مؤلَّفاته سنة 1520م. لكنَّ لوثر قابل ذلك بحرق المرسوم نفسه مع ثلاث مجلَّدات من القانون الكنسيّ؛ مما وسَّع دائرة الخلاف وشجَّع لوثر على مواصلة الإصلاح(14).

---

(5) ينظر: قصة مارتن لوثر: (ص 39)، الكتاب عبارة عن مخطوط لا يذكر اسم المؤلف ولا دار النشر، طبع عام 1840م.

(6) ينظر: المصلح مارتن لوثر حياته وتعليمه: (ص 14).

(7) ينظر: مختصر تاريخ الكنيسة (ص 427)؛ مارتن لوثر حياته وتعاليمه: (ص 17).

(8) ينظر: مارتن لوثر حياته وتعاليمه: (ص26).

(9) جوهان تيتزل (1465-1519م): هو راهب كاثوليكي دومينيكاني، اكتسب شهرة واسعة في جمع المال، وكان عمله الرئيسي منذ ١٥٠٠م هو توزيع صكوك الغفران بأمر من البابا. ينظر: قصة الحضارة: (5/24).

(10) صكوك الغفران: هي أوراق كانت تُباع وتُشترى كالسلع، وتتضمَّن الصَّفح والغفران، ليس عن الخطايا الماضية فقط بل والمستقبلية أيضًا، وقد انتشرت في ويتنبرغ، وهذا سبب ثورة مارتن لوثر. ينظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص 74).

(11) ليو العاشر (1475م-1521م)، هو أحد باباوات روما، جعل من روما عاصمة للثقافة الأوروبية. أجاز بيع صكوك الغفران في ألمانيا؛ فأدَّى ذلك إلى إغضاب مارتن لوثر وقيام حركة الإصلاح الديني. تاريخ الكنيسة، لوريم: (36/4).

(12) تاريخ الكنيسة، لوريم (106/4)؛ وينظر: مختصر تاريخ الكنيسة: (ص 436-437). -وسنتكلم بشكل أوسع عن هذا الموضوع في المباحث التالية-.

(13) فريدريك الحكيم أمير سكسونيا (1463 – 1525م): أحد السبعة الناخبين الذين يحقُّ لهم التصويت في انتخاب الإمبراطور للإمبراطورية الرومانية، وقد لعب دورًا سياسيًّا لصالح مارتن لوثر، وحماه من تنفيذ متطلبات مرسوم البابا الذي أعلن هرطقته. ينظر: تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر (ص 201)؛ تاريخ الكنيسة، لوريمر (118/4).

(14) ينظر: تاريخ الكنيسة لوريم (130/4-131)؛ وقصة الحضارة (34/24).

واصل لوثر نشاطه الإصلاحيَّ، وتزوَّج كاثرين بورا، وهي راهبة سابقة، مخالفًا -بهذا- نظامَ الرَّهبنة، وأنجب ستة أولاد، كما قام بتأليف كتب ورسالات كثيرة في بقيَّة حياته، بَيَّنَ -من خلالها- فساد النظام البابويّ، وحاجة الناس لفهم المسيحية الصحيحة(15).

المبحث الأول: آثار الكنيسة اللوثرية في الجانب الديني، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب لأول: الصورة الجديدة للعالم وأثرها على الإيمان بالنص الديني.

لقد ظهر الراهب الألماني بآرائه في وقت لم يتجرأ فيها كثير لمثل ما قام به، فسلطة البابا والإكليروس لا زالت قوية، وتروج بقوة أن الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها، وأن الذين لا يستسلمون للكنيسة، ويعتقدون بصحة نظرياتهم تحيط بهم اللعنة الأبدية لا محالة، فأفضى هذا الاعتقاد بطبيعة الحال إلى الاضطهاد والتنكيل بكل من خالف أمر الكنيسة والبابا، واعتبرت الهرطقة أعظم خطيئة يرتكبها الإنسان في نفسه أمام سلطة الدينية التي تمثلها الكنيسة، وأضحى إنقاذ الدنيا من أعداء الله واجبًا مقدسًا، في نظرهم،(16) فمضت الكنيسة -بأمر من البابا والإكليروس- بعد هذا لمحاربة خصومها بكل ما أوتيت من قوة، واستخدمت في سبيل ذلك أساليب الاتهام والتعذيب والقتل والسجن وكل أساليب القهر والوحشية.(17)

فهذا المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاتيراني الرابع(18) المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر استئصال الهراطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأيًا مخالفًا للكنيسة، ولو كان رايًا في الكون أو طبائع الأشياء، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها، بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش، التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام، وما أزهقت من أرواح، وما سلت من دماء، وما عذبت من أحياء.(19)

ولم تمضي كثيرًا على حكم البابا بالهرطقة لكل من جون ويكلف وجون هس، اللذان حكم عليما الكنيسة بالحرق، فأحرقوا جون هس حيًا لأنه طلب بإصلاحات، وأحرقوا أشلاء جون ويكلف بعد موته لأنه ترجم الكتاب المقدس، وطلب بالإصلاحات، وكل هذا كان معززًا بنص الديني من البابا ولاهوتيين مؤيدين لسلطته.

وفي مثل هذه الأجواء التي يسيطر عليها نفوذ البابا وسلطانه ظهر الراهب الألماني مارتن لوثر الذي أعلن ثورته على كل ما هو سائد آنذاك، ولقد ساعده في ذلك معرفته خاصة في المجال الديني، فكانت رؤيته وتصريحاته بمثابة فتيل الحرب الذي اشتدت وذاع صيتها في البلاد، وراح يضرب قرارات الكنيسة عرض الحائط، وأصبح بذلك الرجل الذي قادت ثورته الإصلاحية المجتمع الأوروبي في الأخير أن يتخلص من ذلك الخوف الذي كان يسكنه طوال فطرة العصور الوسطى.

ويعتبر نقطة التحولية في ذلك كله مهاجمته على بيع صكوك الغفران وتعليق احتجاجه بخمس وتسعين أطروحة على باب الكنيسة، مصرًا على اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستورًا لتفسير أي موضوع حول العقيدة وكامل الحياة المسيحية.

وقد حاول مارتن لوثر أن يبين للمسيحيين بصفة عامة تعاليم الدين الحقيقية وبعيدة عن كل الكلام المثالي الخاطئ، الذي ألبسته البابا والكنيسة لباس القداسة حتى صار الإنسان لا يعي حقيقته، كما تحولت

---

(15) ينظر: لوثر، تيوبالدسوس: (ص 84-85).

(16) ينظر: التعصب بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، ط6: (ص 78)، دار نهضة، مصر-2005م.

(17) ينظر: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، أحمد علي عجيبة، ط1: (ص 47)، مطابع الشناوي، طنطا-1991م.

(18) مجمع لاتيران الرابع عام ١٢١٥م: عقد مجمع البابا أنوست الثالث للبحث فيما قررتها البابوية من صكوك الغفران لجمع المال، وعما جد في مسألة العشاء الرباني، وفيه اتسعت صلاحيات السلطة البابوية. ينظر: المجامع المسيحية وأثرها في النصرانية، محمد رجب الشتيوي: (ص ٣٨٠-٣٨٢)، مطبعة التقدم، القاهرة-1987م.

(19) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: (ص 167)، دار الفكر، القاهرة.

النصوص الدينة ليست موجهة على الشعب لتسليم بسلطة البابا، وإنما على البابا نفسه وإكليروس أن يرجعوا إلى الدين المسيحي الصحيح، ويعطوا النصارى حريتهم المصلوبة من قبل البابا ومن معه.(20)

وقد وجد لوثر وصيحاته الإصلاحية مدعومة بنصوص الدينية ومتحررة عن سلطة البابا ترحيبًا وتأييدًا من طبقات الشعب الألماني وكذلك السلطة الحاكمة المحلية الذين ذاقوا مرارة نصب الأموال والممتلكات من قبل البابا والكنيسة.

فإن الناس لما فهموا مضمون رسالة لوثر حول الإيمان تحرروا من الرهبة الكنيسة والكهنوت. ويمكنهم الآن أن ينظروا إلى رجال الدين في وجوههم بدل أن يطؤوا رؤوسهم، ولا يهتمون كثيرًا بتهديداتهم.(21)

ويمكننا القول أنّ عملية الإصلاح الكنيسة والنظام البابوي تجسد في نفس مارتن لوثر، وأنها ظهر فيه كما لم تكن في غيره، حتى أنه تجرأ أن يوصف البابا بأنه شيطان، وأنه أسوأ من أي تركي: حيث كتب بياناً عن المقابلات نشر في أرجاء ألمانيا، وعندما قدمه إلى صديقه فينتسل لينك(22) أضاف قائلاً: "أرسل لك عملي التافه لكي ترى ما إذا كنت مخطئاً في رأيي، طبقاً لتعاليم بولس، أن المناهض الحقيقي للمسيحية يسيطر على البلاد الروماني وأنا أعتقد أنه أسوأ من أي تركي".(23)

وهذه الجرأة وهذا الحماس، جعل لوثر حديث ممرات بلاط البابا في روما، وأشغل الإمبراطور نفسه، ففي كل يوم تمر وشعبيته تزداد، وأعوانه يتكاثرون، حتى أنه لما اجتمع مجلس دايت الإمبراطوري في مدينة ورمس لإلزامه برجوع عن آرائه، كان الناس يملؤون طرقات المدينة لينظروا إلى هذا الراهب الشاب الذي تحدى البابا والإمبراطور على حد السواء.

ولما طلب المجتمع من لوثر أن يتراجع عن آرائه، التفت إليهم قائلا: "أيها السادة النبلاء، أنتم تطلبون مني جوابًا واضحًا صريحًا عما إذا كنت مستعدًا أن أعدل عن أقوالي بعدم عصمة البابا والمجامع المقدسة، وها هو جوابي البسيط. إنني لا أؤمن بهذه العصمة... وما لم يقنعني أحد بالإقناع العقلي والكتابي أن ما أقوله خطأ، فلن أستطيع أن أغير ما قلت، ذلك لأني مقيد بكلمات الكتاب المقدس... نعم ان كلمة الله قد استأثرت ضميري، لذلك لا أستطيع، ولا أريد أن اعدل عن شيء من أقوالي، لأنه ليس من الصواب ولا من الأمان ان يسلك الانسان ضد ضميره. وها هنا أقف، ولا أستطيع أن أفعل غير ذلك، والله معي".(24)

لم يعهد الأمراء والنبلاء مثل هذه الشجاعة وقوة الإيمان من قبل، فلم يستطع كثيرون منهم إخفاء إعجابهم، بينما وقع الآخرون في حيرة وارتباك. ولكن مما لا شك فيه أن الأثر العام الذي أحدثه لوثر في المجمع بأقواله الجريئة وموقفه الصامد كان في صالحه، لأنه استطاع بوقفته أن يؤكد لأصدقائه ومساعديه مدى ثقته ويقينه بالحق الذي ينادي به ولا يقبل التجزئة.

ولا شك أن موقف لوثر هذا رسخت في أذهان الأمراء ورجال الدين اللوثريين الذين حيما تعارضوا لحملات الحرب الشعواء هب أمراء ألمانيا لدرء هذا الخطر الداهم يهددهم جميعًا، وأصدروا القرار التالي: "إننا نبذل قصارى جهدنا لتقدم مجد الله، ونتمسك بالتعاليم التي تتفق مع كلمة الله. ونتقدم لله القدير بالحمد والشكر، لأنه أحيا في عهدنا تعليم البر بالإيمان الذي ظل زمانًا طويلاً مدفونًا تحت أكوام من الخرافات والخزعبلات. ولن نسمح بإطفاء نور الحق الذي أعلنه الله لنا أخيرًا.(25)

ولا شك أن العالم النصراني قد ربح من خروج لوثر على كنيسة روما. بل كان أول الرابحين الكنيسة الكاثوليكية نفسها، فإنها عندما رأت الصدمات تتوالى عليها وأوروبا ينشق نصفها عنها، ويعمل على إزالتها

---

(20) ينظر: الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي مارتن لوثر أنموذجا، كمال خرفي: (ص 36)، بحث علمي بجامعة محمد خيضر بكسرة، الجزائر-2020م.

(21) ينظر: A History of the Reformation, (p. 210)

(22) لم أحصل على ترمة لهذه الشخصية، لكن يبدو أنه من أصحابه لاهوتيين

(23) قصة الحضارة: (20/24).

(24) الإصلاح الإنجيلي بين الماضي والمستقبل، القس عازر عجاج، مجلة الناصرة الأكاديمية، يوليو 2017م. http://www.comeandsee.com/ar/post/2829449

(25) حركة الإصلاح الديني في ألمانيا: (ص 12).

من الوجود اضطرت إلى الاعتدال والضبط والإصلاح فألغت الغفرانات، ونزلت محكمة التفتيش عن بعض قساوتها، وضبط الباباوات أنفسهم، واصطلح حال الرهبان.

المطلب الثاني: ظهور مدارس النقد في أوساط المسيحية.

لم يكن من المعقول ولا من منطق تسلسل الأحداث أن تحدث هذه التغيرات ويبقى الدين الذي يغلف ويطبع كل مظاهر الحياة في أوربا بمنأى عن التغيرات. لقد شعر رجال الدين أو بدأوا يستشعرون بمن فيهم أولئك الذين يتشبثون بالتقليد، شعور بأن الحياة التي طال تعليقها قد استأنفت مسيرتها، وبأن مصير البشرية عاد يتضح من جديد.(26)

وعندما ظهر لوثر ومن معه من المصلحين لتمردهم على الكنيسة، احتجوا على الفساد الذي عم الكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم دعوا إلى إصلاح أكثر عمقًا يقوم على الفحص الحر، والفهم الخاص للكتاب المقدس، وعلى التجربة الشخصية، وهذا يعني دعوة تنفي على الكنيسة احتكار فهم الكتاب وتفسيره دون جميع الناس، حيث لا معقب لما تقول في ذلك التفسير، أو في أي رأي تبديه أو أمر تعلنه، وكذا قولها بوجود رابط مباشر بين الله والإنسان.(27)

ويمضي لوثر في دعوته فطالما وأن القسيس الكاثوليكي أصبح عقبة بين الإنسان والرب، فإن الواجب يقتضينا بأن نتخلص من كل ما قد يشكل عقبة على هذا النحو، وليكن كل إنسان قسيس نفسه. فكان يعظ الناس بمثل هذا الحديث، ويدعو كل إنسان أن ينصت إلى شيء ما في باطنه ويغفل كل ما في خارجه. وخص لوثر بدعوته الأحرار من البشر إيمانًا منه بأن الأحرار كلهم لو تراهم صورة مصغرة عنه وإن كانوا لا يتمتعون بمواهب مثل موهبته.(28)

وفي هذا الصدد يقول الأب جون وايثفورد(29) عن اللوثريين أنهم: "كانوا يعتقدون برأيهم أكثر من أي من أباء الكنيسة، فبدل الإنصات إلى الآباء الذين ثبت برهم وقداستهم، فقد أعطوا الأولوية للمنطق البشرى. وهذا المنطق البشرى هو الذي جعل غالبية الدارسين اللوثريين يرفضون أغلب عقائد الكتاب المقدَّس.. ويرفضون أيضًا الإيمان بوحي الكتاب المقدس نفسه، ذلك المبدأ الذي ادعى اللوثريون الأوائل أنهم أسسوا علية إيمانهم بالكامل".(30)

وهكذا فبعدما نقدوا مظاهر العامة لدى الكاثوليك وجهوا أنظارهم إلى الكتاب المقدس حيث قام البروتستانت بانتقائية الأسفار المقدسة ووضعوها تحت الفحص لتقرير ما يعتمد منها ففتحوا بذلك بابًا واسعًا أمام حركة النقد إذ رفضوا أسفار الأبوكريفا حتى تجاهلوها في طباعتهم للكتاب المقّدس على اعتبار أنها تفتقر إلى الحقيقة وتحمل أسماء ملفقة وتتضمن أساطير خيالية.(31)

وبهذا ساهمت حركة الإصلاح الديني بشكل مباشر بظهور نقد الكتاب المقدس إذ افتتح روادها النقد النصي للكتاب المقدس وعملوا على إتاحة، إطّلاع الجميع عليه، وشكل انشقاقهم عن الكنيسة الكاثوليكية تقويضًا لقبضتها الحديدية التي حكمت أوروبا لقرون، إذ أفرزت الحروب الطاحنة بينهما مناطق جغرافية غير خاضعة لسلطة الكنيسة، وشكلت ملاذا في الغالب للّنقاد الهاربين.(32)

---

(26) أزمة المسيحية بين النقد التاريخي وتطور العلمي، نعيمة إدريس: (ص 58)، رسالة الدكتوراه بجامعة منتوري قسنطينة، الجزائر-2008م.

(27) ينظر: الموسوعة الفلسفية، روزنتال دي بودين، ترجمة: سمير كرم، ط3: (ص 81)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-1981م.

(28) ينظر: تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، (ص 90)، عالم المعرفة، 1984م.

(29) الأب جون وايثفورد هو رئيس الكهنة والقس في كنيسة القديس يونان الأرثوذكسية، في سبرينغ، تكساس. ولد في ريفرسايد، كاليفورنيا عام 1966، وعاش في كاليفورنيا. ينظر: https://www.patristicfaith.com/our-team/father-john-whiteford/

(30) هل الكتاب المقدس وحده يكفي، الأب جون وايثفورد، ترجمة: أسرة القديس ديديموس، ط2: (ص 74)، مطبعة دير شهيد مارمينا العجائبي، مصر-2005م.

(31) ينظر: العهد القديم دراسة نقدية، علي سري محمود المدرس، ط1: (ص 447)، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-2006م.

(32) حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، أريج حوامدة: (ص 65)، عالم الكتب الحديث، أردن-2022م.

ومما لعب دورًا مهمًا في انتشار الفكر النقدي وجود جامعات في مدن البروتستانتية، حيث يسمعون من لوثر وغيره أشكالاً من النقد الكنسي والكتابي، الأمر الذي شجع كثير منهم أن يتحرر من قيود الكنيسة ويقرأ بعين الناقدة.

فكانت جامعة فيتنبرغ التي أصبحت بفضل لوثر المهد الأساسيَّ للتعاليم اللوثرية ومنافسًا خطيراً للتعليم التقليدي في "السوربون"(33). وإليها جاء طلاب العلم من جميع أصقاع ألمانيا، بحيث غدت بمثابة المعمل العظيم للأدب اللوثري. وفي هذا المكان الصغير وُجِدَ العقل القوميُّ لألمانيا، وهو العقل الذي أثَّرت فيه مشاعرُ هذا العصر وحوادثه، ووجد مَنْ يعبِّرُ عنه بلُغَة استطاع كل ألماني أن يفهمها، ومنه أيضاً استمدّ بعض الأساتذة في جامعة كيمبردج في إنجليزا التعاليمَ المسُتوحاةَ من الإنجيل رأساً، وهي التعاليم التي ساعدت على تحوُّل إنجلترا إلى المذهب البروتستانتي.(34)

وللتدليل على أثر العظيم لهذه الجامعة في إحداث التغيير الذي نحن بصدد الحديث عنه فقد نقل مؤلّف "تاريخ الكنيسة المُفَصَّل" عن الأستاذ الفرنسي أ. تولين قوله: "إنّ جامعة فِيتنْبرغ تفوق بأكثر من مئةِ سنةٍ، الجامعات الألمانيّة كلَّها. فبفضل لوثر، ارتفع عدد الطلاّب من 300 في السنة 1508 إلى نحو 2000 في السنوات التي تلت 1522 -وهذا أمر نادر، لأنّ الجامعات في ذلك الزمن كانت تضمّ عادةً بضع مئات من الطلاّب-. وكان نحو عُشر هؤلاء الطلاّب من الأجانب، ومن بينهم كثير من المجريَّين. وكان هذا العالم كلُّه يدور حول لوثر، الذي كان قطب الجذب الكبير".(35)

وفي أواخر القرن السابع عشر، دخل الأوروبيون عصر العقل، وبدلاً من اعتماد العلماء والدارسين والفلاسفة على النصوص المقدسة، اكتسبوا توجهًا نحو المستقبل واستعدادًا لنبذ الماضي والبدء من جديد، وبدأوا يكتشفون أن الحقيقة لم تكن أبدًا مطلقة بعد أن حطمت الاكتشافات الجديدة الثوابت القديمة تحتم بشكل متزايد إثبات الحقيقة تجريبيًا وموضوعيًا... نتيجة لذلك؛ صارت أنماط التفكير الأكثر نزوعًا نحو الحدس والبداهة مشكوكًا فيها، وتطلع الدارسون لأن يصبحوا روادًا ومتخصصين بدلاً من البقاء على ما تم إنجازه أصبح رجل عصر النهضة الذي يحيط بالمعرفة بصورة موسوعية شيئًا من الماضي، وسرعًا ما سيكون من المستحيل تقريبًا لخبير في أحد المجالات أن يكون كفئًا حقًا في مجال آخر. وشجعت عقلانية الحركة الفلسفية التي عرفت باسم التنوير النمط التحليلي للتفكير: أي بدلا من محاولة رؤية الأشياء ككليات، أخذ الناس يتعلمون تشريح الواقع المركب ودراسة الأجزاء المكونة له وسيؤثر هذا كله تأثيرًا عميقًا على كيفية قراءة الكتاب المقدس.(36)

ثم في بداية القرن العشرين ظهرت مدرسة نقد الشكل(37) في ألمانيا، حيث ذهبت أن الإنجيليين لم يكتبوا سجلًا تاريخيًا بل كتبوا ما يناسب الكرازة والإجابة على الأسئلة المثارة، وأنهم أضافوا وبالغوا في الأحداث التاريخية وأدخلوا نوعًا من الزخارف التي يجب إزالتها للوصول إلى الأصول الصحيحة، ويقول جون درين: "قبل ظهور الدراسات النقدية، كانت الأناجيل تُفهَم ببساطة على أنها سجل تاريخي عن حياة وأعمال وكلمات يسوع، ولكن تم التخلي عن هذا الفكر في المرحلة الأولى من الدراسات النقدية ليُستبدل برأي آخر وهو أن البشيريين كتبوا ما كتبوه لغرض عملي وهو تلبية احتياجات الكنائس الوليدة. هذه الاحتياجات ترجع اغلبها إلى التبشير، والعبادة والتعليم، وحل النزاعات الداخلية. تأسيسًا على هذا المفهوم لم تكن الأناجيل سردًا مستفيضًا لأعمال يسوع أو كلماته. ولكنها كانت ذكريات منتقاة على أساس نوعية الأسئلة المطروحة والمناقشات الجارية في الكنائس الأولى... وعلى نفس هذا الأساس لم تكن هناك حاجة

---

(33) جامعة السوربون هي جامعة باريسية رفيعة المستوى، وهي من أعرق وأرقى الجامعات في العالم.

(34) أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، هربرت فيشر، ترجمة: زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، ط3: (ص 104)، دار المعارف، مصر.

(35) ينظر: تاريخ الكنيسة المفصل: (36/3).

(36) تاريخ الكتاب المقدس: (ص 137).

(37) مدرسة نقد الشكل: وقد اعتقد أصحاب هذه المدرسة أن الأناجيل جرى عليها بعض الإضافات والزخارف، فمهمة نقد الشكل هو حذف هذه الإضافات والزخارف للوصول إلى النص الأصلي خاليًا من الشوائب. ينظر: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، حلمي القمص يعقوب، ط1: (2/44-46)، مطبعة دير الشهيد العظيم ماريمينا العجائبي بمريوط، مصر-2017م.

لكتابة تاريخ حياة يسوع من البداية للنهاية. إذ لم تكن هناك حاجة إلى إثبات حقيقة وجوده -يسوع التاريخي- لكن البشيريين أبدوا اهتمامًا أقل لكتابة حياة يسوع، فما اهتموا به إيضاح ملاءمته للحياة اليومية لتابعيه".(38)

والناظر لما سبق يرى أن هذه المدارس إنما ظهرت في أحضان اللوثرية البروتستانتية، أو في أوساط هذه البيئة التي كانت مشحونة بالمعارك الكلامية وصنوف النقدية.

المطلب الثالث: اللاهوت الجديد وحوار الأديان.

لما علق لوثر احتجاجاته خمسة وتسعين على باب الكاتدرائية، كان مقصده تنبيه النصارى عن أمر فضيع الذي يتعلق بمفهوم الغفران، ولم يقصد بذلك إنشاء كنيسة جديدة أو نظام جديد وسط الكنيسة الكاثوليكية.

لكن فعل لوثر هذا كانت نقطة الانطلاق في بداية الحوار مع الأطراف داخل الكنيسة في مفهوم اللاهوت ومضامينها، وإلى هنا كان جلّ جهود لوثر هي رفع شلة تطهير المسيحية من العقائد غير الأصيلة التي تتناقض مع الكتاب المقدس. فلم يكن لديه مشروع عام للإصلاح أو الثورة، ولم تكن له استراتيجية لتغيير الأوضاع ضمن مشروع فكر فيه وأعده. كما أنه لم يؤسس جمعية أو تنظيمًا أو منظمة ثورية أو إصلاحية؛ لقد أراد أن يصلح الخلل المتمثل في صكوك الغفران وما يترتب عليها من إضلال الناس. كما أنه بهذه أطروحات لم يبدأ ثائرًا ضد البابا والبابوية، ولم يتحول إلى الموقف المعادي إلا مع تطور الأحداث، وبعد موقف البابا العنيف الرافض لفكرة أن يقوم راهب صغير في ناحية صغيرة من الأراضي الألمانية ليعترض على سلطته ومقامه.(39) وفي خضم هذا الحوار والنقاش الإصلاحي بين لوثر والبابا وممثلي روما، اتضح لديه معالم اللاهوت أكثر فأكثر، واكتشف مفهوم الحقيقي للخلاص والمسيحية، لذا أعلن أن إصلاحه بمثابة ثورة على كل من الثيوقراطية(40) البابوية وامتيازات الإكليروس.(41)

فبعدما كانت الكنيسة هي المسيطرة على مختلف مجالات الحياة، إلا أن هذه المفاهيم تغيرت مع ظهور الحركة الإصلاحية، فقد قام المصلحون بتهذيب الديانة المسيحية وتيسيرها، بحيث لم يعد الكتاب المقدس حكرًا على رجال الدين كما كان لحركة الإصلاح تأثير كبير في كبر هيمنة المنظومة الدينية السائدة، بما في ذلك خلفياتها السياسية والأخلاقية في تحرير المجتمع من التسليم تسليمًا مطلقًا بالمرجعية البابوية، والقضاء على الفساد الكنسي وارجاع الديانة المسيحية إلى صفاتها ونقائها.(42)

فأسفرت حركة الإصلاح التي قادها مارتن لوثر إلى العديد من النتائج في الجانب المتعلق بالدين حتى صار لاهوتًيا جديدًا له سمات مختلفة ومتميزة، فمن سمات هذا اللاهوت:

1- **الكتاب المقدس أولى من التقليد**: فأعلن لوثر أن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للسلطة الدينية، حيث وصفت صيغة الوفاق الكتاب المقدس بأنه القاعدة الوحيدة والأكثر تأكيدًا للحكم على التعاليم المسيحية. وكان هذا الموقف في تناقض ملحوظ مع التأكيد الكاثوليكي لكل من الكتاب المقدس والتقاليد. لم يقبل لوثر مطلقًا الإصرار الكاثوليكي على أن تقليد الكنيسة كان مجرد توضيح ما تم العثور عليه ضمنيًا في الكتاب المقدس.(43) لذا حينما وقف أمام مجلس ورمس قال: "ما لم أكن مقتنعًا بالكتاب المقدس والمنطق الواضح السليم – أنا لا أقبل سلطان الباباوات والمجالس؛ لأن كلا منهما ينقض الآخر، فإن ضميري أسير كلمة الله".(44)

---

(38) ينظر: مدخل العهد الجديد، جون درين، ترجمة إيهاب جوزيف وفنيس نقولا، ط1: (ص 182)، دار الثقافة، القاهرة-2015م.

(39) ينظر: الحوار الإسلامي والغرب: (ص 107).

(40) أي: حكم أقلية من الأقليات تتسلط على أغلبية فئات المجتمع. ينظر: مصطلحات ومفاهيم، الثيوقراطية، د. محمد يحيى، مجلة البيان: (122/149).

(41) ينظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية: (ص 95).

(42) إصلاح الديني وعلاقته بالسياسة: (ص 53).

(43) ينظر: موقع الموسوعة البريطانية https://www.britannica.com/topic/Christianity/Protestantism#ref300949

(44) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص 31).

2- **إن تفسير الكتاب المقدس حق للجميع**: النقطة الثانية التي تميزت به لاهوت لوثر الإصلاحي وهي نتيجة للأولى أن جميع الناس لهم حق قراءة الكتاب المقدس، ولهم حق التفسير. في كتاب الذي أرسله مارتن لوثر إلى نبلاء الأمة المسيحية الألمانية، ذكر عن بعض الحواجز أو الأسوار التي وضعتها الكنيسة لكي تحتفظ بسلطانها وسيادتها على الناس؛ ومن هذه الحواجز: حق الاحتفاظ بتفسير الكتاب المقدس للإكليروس فقط، قال لوثر: "إن تفسير الكتاب المقدس حق للجميع، لأن روح الله هو الذي يعمل في القاري سواء كان كاهنًا أو علمانيًا: عالماً أم عاميًا لكي يفهم المكتوب، فكل واحد منا كهنة، لأننا جميعًا لدينا إيمان واحد، الإنجيل الواحد ... يحق الجميع التذوق أو الاختبار، والحكم على ما هو صواب أو خطأ في الإيمان".(45)

3- **التبرير لا يكون إلاّ بالإيمان فقط:** كانت الأعمال الصالحة في عرف الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى هي أنشطة تستأهل الثواب كالأنشطة الدينية. وكانت هذه الأعمال موجهة للرب؛ لأن فاعليها حسبوا أنها تُكسبهم الخلاص. وأما في نظر لوثر، كان هذا هو النوع الخاطئ من الأعمال لأن لوثر وصل وتقرر عنده -حتى صار أصل من أصول الإيمان لدى جميع كنائس البروتستانتية- أن التبرير لا يكون إلاّ بالإيمان فقط. فقد جرب الصلاة والصوم وصنوف رياضة النفس، فلم تجلب له راحة ولا خففت من عبئه المبرح بأوزار خطاياه. وهناك تبين له ما في الإنسان من شرور حقيرة، وما في الله من خير وضاء ليس في طاقة البشر أن يصلوا إليه. وأن الإنسان إذا ما كان مؤمناً فإنه يستطيع الخلاص بالرغم مما استقر في ذاته من شرور مهلكة. أما الأعمال فلا جدوى منها في طريق الخلاص.(46)

4- **لا وساطة بين الإنسان وبين الله:** إن الوساطة بين الإنسان وبين الله التي كانت تتم عن طريق رجال الدين قد اختفت تدريجيًا، وأصبح الإنسان المسيحي يدرك تمامًا أن باستطاعته التواصل مع الله مباشرة دون أية واسطة.(47) وأنه لا يوجد فرق حقيقي بين العلمانيين والكهنة، وبين الأمراء والأساقفة، إلا من قبل المنصب والعمل، ولكن ليس من أجل المكانة. إنهم جميعًا من التركة الروحية، وكلهم حقًا كهنة وأساقفة وباباوات.(48) فبناء على ذلك ليس للبابا مزية عن البقية إلاّ من خلال الوظيفة الخدمية، وبإمكان الجميع أن يستدرك عليه.

5- **بطلان عبادة مريم والقدسين:** لقد أعلن لوثر خلافًا لكنيسة الكاثوليكية أن أهمية القديسين تكون في احترامهم وكونهم قدوة للإيمان، ولا يجوز دعاءهم أو طلب منهم إذ يقول: "أن ذكرى القديسين قد توضع أمامنا، حتى نتبع إيمانهم وأعمالهم الصالحة... لكن الكتاب المقدس لا يُعَلِم دعاء القديسين، أو طلب المساعدة من القديسين، لأنه يضع أمامنا المسيح باعتباره الوسيط الوحيد، والرثاء، ورئيس الكهنة والشفيع. يجب أن يصلى إليه، وقد وعد أنه سيسمع صلاتنا".(49)

6- **تغيير مفهوم أسرار الكنيسة وتقليل عددها:** تميز لاهوت لوثر الجديد حتى في شأن الأسرار المقدسة حيث جاء بمفهوم جديد في شأنها إذ قرر: "أن سر المقدس؛ عمل مقدس مرسوم من الله نفسه، فيه علامات المنظورة المتعلقة بكلمته تدل على المسيح، وبواسطتها يهب الله المغفرة الخطايا للمؤمنين ويختمها لهم".(50) وبناء عليه فإن الأسرار لن تكون سبعة كما عند الكنيسة الكاثوليكية، وإنما تقلصت عددها إلى سرين هما: سرّ المعمودية، وسرّ العشاء الرباني.(51) كذلك فإن ففاعلية الأسرار والخلاص بها لا تكون في ذاتها ولا بخادمها؛ بل بمجرد بركة المسيح وفعل الروح القدس.(52)

7- **مفهوم الجديد للكنيسة:** في لاهوت لوثر الجديد الكنيسة لها معنى ومدلول مختلف عن كنيسة روما. قد

---

(45) ينظر: Martin Luther, Michael A. Mullett, (p 105).

(46) ينظر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث: (ص 100-101).

(47) ينظر: الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي: (ص 47).

(48) To the Christian Nobility of the German Nation, (p. 5).

(49) Book of Concord, (p. 57).

(50) ينظر: الكتاخيسمس الصغير: (ص 147).

(51) المصدر السابق: (ص 147).

(52) حقائق ق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٠)؛

عرفت بابوية العصور الوسطى الكنيسة بأنها الهيئة الاجتماعية الدينية التي أسسها المسيح وتساس من قبل البابا روما.[53] أما لوثر فنظر إلى الكنيسة على أنها الجسد الروحي ليسوع المسيح المكون من المؤمنين.[54] في الواقع، أصر لوثر على عدم اعتبار البابا ورجال دينه مؤمنين، فهم ليسوا الكنيسة على الإطلاق.

8- **إباحة الزواج لرجال الدين:** أباح لوثر لخدام الكنيسة الزواج؛ إذ أنهم ليسوا مكلفين أن يعيشوا حياة بتولية، فلا تقر اللوثرية نظام الرهبنة والبتولية. يقول لوثر: "إن عائق أو مانع الرسامة هو مجرد اختراع بشري، فهم يهرجون ويدعون بأن هذا العائق يلغي حتى الزواج الذي تم تسجيله، فهم دائمًا ما يصنعون شرائعهم الخاصة فوق شريعة الله. وإنني لست هنا في مقام الحكم على الحالة الحالية على النظام القساوسي؛ لكني ألاحظ أن بولس يكلف أسقفًا أن يكون زوجًا لزوجة واحدة، وبالتالي فلا يمكن إلغاء أي زواج لقسيس أو أسقف أو شماس أو أي وظيفة كنسية أخرى".[55] فإنه لا يوجد في الكتاب المقدس ما يمنع الزواج؛ فالزواج مؤسسة يباركها الله ويتيحها لكل مَن يرغب، ولا تستطيع إلا قلة قليلة أن تحتفظ بعزوبيتها وتمتنع عن العلاقات الجنسية. لذا تزوج أغلب أصحاب لوثر من القساوسة، وتزوج لوثر بعدهم مع كاثرينا فون بورا.

وفي خضم هذه التغييرات اللاهوتية التي أجراها لوثر تولدت ضرورة الحوار بينه وبين مخالفيه، فالعمل الإصلاحي الذي أقامه، بمثابة التموجات التي يحدثها الحجر عندما يتم إلقاؤه في الماء، والتي ستصل أثرها إلى مجتمع الألماني كله، بل وأبعد من ذلك.

فأول بدايات الحوارية في قضايا المتعلقة بالدين كان بينه وبين البابا روما وأتباعه، وقد اتسمت في بدايتها بالهدوء وسعت الصدر، حيث كان يخاطب البابا مظهرا لامتنانه، وجهوده في حفظ المسيحية، لكن لما اشتد النزاع بينه وبين البابا أطلق لوثر لسانه، وصار قاسي العبارة على النظام الكهنوت، فبدأ يوصف البابا بأنه بذرة الشيطان، وخصم للمسيحية، والدجال، أما الأساقفة فقد نعتهم بأنهم ديدان، وهراطقة كفرة، وقردة جهلة.[56]

ولم تكن رد البابا وأتباعه أقل قساوة منه، فقد أصدر البابا مرسومًا بحرمانه كنسيًا، وحكم عليه بالهرطقة، وحاول قبض عليه وعقابه. ولكن مع كل هذا التوتر لقد شهد ساحة في هذه الفترة من إنتاج العلمي -من الرسائل، والكتب الحوارية، والردود وتقريرات العقدية- ما لم يشهد من قبل.

وواصل الحوار بين الإصلاحيين والكاثوليك حتى بعد وفات لوثر، فكانت لهذه الحوارات أثر في المجامع أقيمت واتفاقيات أبرمت بين الطرفين، منها: معاهدة أوغسبورغ 1555م، التي منح ألمانيا سلاماً دام نصف قرن، ومنحت حريات دينية الجديدة.[57] كذلك اتفاقية وستفاليا عام 1648م التي جاءت بعد حرب دامت ثلاثين سنة بين الكاثوليك والبروتستانت، والتي تضمنت من ضمنها بنودًا متعلقة بالشؤون الدينية، فمنع كل اضطهاد ديني في ألمانيا، ونصت المعاهدات على أن دين كل دولة ألمانية يجب أن تحدده ديانة أميرها: كاثوليكية، لوثرية أو كالفينية، فكل حاكم حراً في أن يختار أياً منها.[58]

كما واصلت هذه الحوارات إلى أيامنا ولعبت دورًا مهمًا في تقريب بين المذهبين، بل ولقبول بعضهم البعض حتى قام البابا الفاتيكان بمشاركة في الاحتفال المشترك بين الكنيسة الكاثوليكية والاتحاد اللوثري العالمي في السويد، لإحياء الذكرى الـ 500 للإصلاح، وأصدرت أطروحة مشتركة يلقى فيها لضوء للإصلاح من منظور الكاثوليكي-اللوثري.

---

[53] ينظر: كنز النفائس في اتحاد الكنائس: (ص ١٩٥)؛ علم اللاهوت النظامي: (ص ٥٢-٥٩؛ ٥٩٩-٦٠٠)؛ معجم اللاهوت الكتابي: (ص ٦٧٨)؛ أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير: (ص 120-122)

[54] إقرار أوغسبورغ: (ص 35).

[55] The Babylonian Captivity of the Church, (p. 58).

[56] ينظر: قصة الحضارة: (24/ 136).

[57] ينظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ط4: (ص 593) شركة الطباعة المصرية -2003م.

[58] ينظر: قصة الحضارة: (33/ 166).

الأمر نفسه كان حتى مع اليهود الذين كانوا منبوذين من قبل النصارى، فبدأ لوثر حواره الديني معهم رغبة منه أن يتنصروا، ففي وقت خصومته مع البابا، وتتبع عوراته، وجد لوثر أن من الأفضل له التقرب إلى اليهود، فانتقد موقف السلطة البابوية منهم، والتعامل معهم على أنهم كلاب، لا بشر حسب تعبيره. وكتب في هذا الموضوع كتيبًا صغيراً، يحمل عنوانًا ذا دلالة "يسوع المسيح ولد يهوديا". وكانت دوافع مارتن لوثر في ذلك الموقف تنصيرية إلى حد ما، فذهب في كتيبه إلى أن التعامل الفظ الذي تمارسه السلطة الكنسية ضد اليهود هو الذي نفرهم من المسيحية، وجعلهم يفضلون البقاء على دينهم وحتى حينما يقرر بعضهم اعتناق المسيحية فإنه يجد نفسه تحت طغيان الكنيسة وابتزازها، فيندم على هجر دينه الأصلي.(59)

لكن لما أفاق وانتهى وهمه في دعوة اليهود للتنصُّر إلى خيبةِ أملٍ، وفشلٍ ذريع، تحول لوثر من محاور يدافع عن اليهود ومكانتهم، إلى مهاجم عليهم يستخدم لهجة شرسة وفظة ضدهم، فكتب كتابه المشهور "اليهود وأكاذيبهم" الذي كان إعلانًا واضحًا ودعوةً صريحةً في بغضهم، بل ولطردهم من مقاطعات اللوثرية.(60)

لكن مهما يكن من الأمر فإن اليهود استفادوا من كتاب الأول الذي أصدره لوثر، وتواصلت حواراتهم مع المصلحين والبروتستانت، بل وصلوا من خلال البروتستانت إلى كثير من مآربهم، حتى وصل الأمر أنّ ممثلي الإتحاد اللوثري المجتمعين في مؤتمرهم في ستوكهلم في السويد في الفترة 11 – 13 تموز 1983م قد أعلنوا عن عدم التزامهم بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود. كما عبَّر مؤتمر رؤساء الكنيسة اللوثرية الأمريكية الذي انعقد في مدينة سانت لويس في 9/تموز/1983م عن أسف اللوثريين وعدم علاقتهم بالملاحظات المتطرّفة التي سبق لمارتن لوثر أن أبداها تجاه اليهود.(61)

ولا تزال مجالس الحوارية والندوات التعاونية بين اللوثريين واليهود، في محاولة تناسي موقف لوثر العدواني لليهود، أو تبريرًا لهذه المواقف، وآخر ندوة لوثرية-يهودية كانت سنة 2022 في ألمانيا تحت عنوان: تراث لوثر من معاداة اليهودية والعلاقات اليهودية اللوثرية المعاصرة.(62)

وكذلك الحوار مع المسلمين لم يكن غائبًا عن أذهان لوثر، وإن كان يرى في غزو (تركي) الإسلامي على أوروبا أنها نوع من عقوبة ربانية لانحراف النصارى عن دين المسيح، فلوثر ربط أفكاره نحو الإسلام بالأحوال السيئة التي عمت المسيحية والمسيحيين. ولهذا لم يكن من المستغرب مقولته بأن نجاحات الأتراك المسلمين تمثل عقوبة وابتلاء من الرب بسبب ذنوب المسيحيين، وخاصة غير المخلصين منهم.(63)

ومع ذلك فإن لوثر وضع الإسلام في نفس الخندق مع أتباع البابا واليهود حيث يقول: "إن كل الناس الذين ينشدون الوصول إلى الله ويعملون من أجل هذا الوصول بأية وسيلة أخرى غير التوسل بالمسيح - مثل اليهود والأتراك والبابويين والقديسين الزائفين والهراطقة ... إلخ-، يسيرون في ظلام دامس سادرين في الخطأ، ولابد من أن يموتوا آخر الأمر ويضيعوا في آثامهم".(64)

وما دام لوثريون الجدد سيواجهون المسلمين في حروبهم، فلزام عليهم حسب لوثر التزويد بالإيمان ومعرفة شيء من دين الإسلام حتى يتمكنوا من الحوار بالمسلمين الغزاة -حتى في حالة الأسر-، وبذلك يظهرون ثباتهم في دينهم، وامكانيتهم في نقد وابطال دين الغزاة. ولا شك أن لوثر أخذ مفاهيم مشوشة عن الإسلام، فمعظم المصادر التي تتكلم عن الإسلام في القرون الوسطى كانت لها سمات العدائية والتشويهية. لذا لا نستغرب حينما نرى لوثر يخاطب الألمان: "إذا أراد المرء أن يكدر الأتراك (المسلمين) ويلحق الأذى

---

(59) ينظر: اليهود وأكاذيبهم: (ص 40).

(60) ينظر: اليهود وأكاذيبهم: (ص 54-57).

(61) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع الصهيوني، حسن يوسف، ط3: (ص 25)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-2000م.

(62) https://wp.stolaf.edu/lutherancenter/events-on-lutheran-jewish-relations/

(63) ينظر: مارتن لوثر والإسلام: (ص 210).

(64) قصة الحضارة: (24/ 66).

بهم، فلن يتسنى له ذلك إلا بسلاح فَهْمِ وتعريف محتوى القرآن من قبل المسيحيين، حتى يتيقنوا بأنفسهم كم هو كتاب سيئ، ملئ بالأكاذيب والأساطير والهرطقات".(65)

كما ألقى خطبًا عن الحرب مع المسلمين الأتراك، وتحدث عن المسيحيين الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامي، وكذلك الألمان الذين تم أسرهم خلال هذه المعارك. ينصح لوثر سامعيه بأن يكونوا خدامًا مطيعين لأسيادهم وأن يكونوا شهودًا للمسيح، أملاً أنه من خلال العيش بهذه الطريقة، يمكن للمسيحيين أن يحولوا أسيادهم وجيرانهم المسلمين إلى المسيحية. لكن لما سمع لوثر أن العديد من المسيحيين كانوا يرتدون، ويبتعدون عن النصرانية ويتحولون إلى دين الإسلام. بدأ يقول لسامعيه: " كن منتبهًا ومحذرًا، بأن تظل في الإيمان المسيحي الصحيح، ولا تنكر أو تنسى ربك ومخلصك العزيز يسوع المسيح، الذي مات من أجل خطيتك".(66)

ولكن لوثر لم يكن له معرفة كافية بالإسلام، وأغلب ما عنده مجرد كتابات مشحونة بالعداوة وتحريف، الأمر الذي أثر في كتاباته ورسائله عن الإسلام والتي كانت في غالبها على صيغة الدفاعية التحذيرية.

وقد اتبع هذا النهج بقية لاهوتيين اللوثريين من بعده -إلا ما ندر-، فترجم ديفيد نريتر(67) القرآن من بين كتابات التي كانت ضد ما أطلقوا عليه بـ "خطر التركي"، ويقصدون به خطر دخول أوربا في الإسلام، فهي جزء من حملة جرت ضد الإسلام والتحذير منه.(68)

فسيطر على أوساط اللوثرية رأي مؤسسها بأن محمد صلى الله عليه وسلم مزعج للرب يسوع ولمملكته، وأنه عمل من أعمال العدالة الإلهية الانتقامية من القصور المسيحي بالخروج عن تعاليم الرب، فدعوة محمد التي هي ترقيع من التعاليم اليهودية والنصرانية والوثنية تعكس الوحشية والضلال والشيطانية نظراً لأن محمد صاحبها مسكون بالروح الكاذبة وقد قام الشيطان من خلال كتابه القرآن يقتل الروح وإزعاج العقيدة.(69)

وفي عصرنا الحاضر بدأ لاهوتيون في أوروبا أسلوبًا جديدًا، وهو الحوار كي تحقق من خلاله ما تدعيه من رغبة في التعاون والتفاهم واحترام الآخر، إلا أن باطن ذلك هو القضاء على الإسلام وتشويه مبادئه وصورته عند أهله وعند غيرهم.

وهذا يذكرنا بتحذير القرآن الكريم من مواقف هؤلاء الغربيين دعاة الحوار الحديث المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

المبحث الثاني: آثار الكنيسة اللوثرية على نمط السياسي.

المطلب الأول: جدل اللاهوت والسياسة.

لقد عرفت الأرض، منذ أيام المسيح عليه السلام نوعين من السيادة، وهو ما لم يسبق لأحد أن رأى مثله عند اليهود والوثنيين: سيادة زمنية مستقلة لها شرائعها ونظامها الأمني وحقها في إنزال العقوبات الجسدية بالمفسدين؛ وسيادة روحية مستقلة جعلت لخلاص البشر، ولها أيضاً قوانينها ونظمها التي يتم تطبيقها بالوسائل أن مصدر هاتين السيادتين هو الله فإن لكل منهما مهمة تنفرد بها عن الأخرى. إن سلطة قيصر إلهية في، أصلها، شأن كل سلطة عالمية، وقد أقيمت لأجل غايات أرضية أهمها معاقبة الأشرار

---

(65) اليهود وأكاذيبهم: (ص 229).

(66) ينظر: لوثر والإسلام كيف يحارب المسيحيون، Anthony Dodgers على الموقع: https://lutheranreformation.org/theology/luther-islam-part-2-christian-fights/

(67) ديفيد نريتر (1649-1726م)، كان عالم اللاهوت اللوثري، حصل ماجستير في عام 1672م، وعمل مساعدًا في كلية الفلسفة، كما عمل كمشرف عاف في مدينة أوتنجن ونورنبرج. ينظر: https://de.wikipedia.org/wiki/David_Nerreter

(68) ينظر: آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية: (ص 147).

(69) الإسلام في الفكر الألماني، عبد الراضي محمد عبد المحسن:(ص 41)، دراسات عربية وإسلامية، المجلد 2015، العدد 50.

وجباية الضرائب، وحفظ أمن المدينة. كذلك سلطة الكنيسة هي إلهية ما دام مؤسسها هو المسيح، لكنها محض دينية ومجرّدة من كل سلاح مادي.(70)

وكانت سلطة المدنية السياسية في بداية الأمر تغلب على سلطة الدينية، حيث كان لسلطة الدينية ورجالها مجرد تعليم النصارى دينهم، وتنظيم حياتهم حسب تعليم الإنجيل ومبادئ التقليد. لكن مع انتشار الدين النصراني بدأ يكبر في رجال الدين والباباوات الكنيسة أطماع السلطة الأمر الذي سيدخل العالم الغربي النصراني في جدال وصراع الدائم بين اللاهوت والسياسة.

وهذا البابا جرجوري الأول الذي يلقب بجريجوري العظيم، الذي اتصف في وظيفته الباباوية بالكبرياء والاعتزاز بالنفس وسلطته العليا، فبجانب اهتمامه البالغ بتطوير الكنيسة وإصلاحها والدعوة للنصرانية، كان مهتمًا بالنواحي السياسية والإدارية، حتى أن حكمه في روما كان أقرب إلى الحكومة الدنيوية منها إلى حكومة الدينية، وأنه باشر في تفاوض مع اللمبارديين(71) بسم الشعب الروماني، حتى عقد معهم صلحًا نهائيًا أنها به الحروب المتواصلة التي استمرت ثلاثين سنة منذ الغزو اللمباردي لإيطاليا.(72)

ازدادت مكانة البابوية بقدوم الملك شارلمان(73) إلى الحكم. حيث أعاد شارلمان تنظيم المنطقة الخاضعة لسلطة البابا الزمنية سنة 781م، وقام بترسيم حدودها. مما أكسب شارلمان رضا الكنيسة التي دفعت بالبابا ليوَ الثالث (795-816م) إلى تتويجه سنة 800م إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وحاميًا للسدة البابوية.(74)

وبالرغم من الخدمات الكبيرة التي قدمها شارلمان للبابوية، إلا أنّ خلفاءه من بعده عمدوا إلى التدخل في شؤون البابوية بعد ما رأوا من أطماعها. (75)

وهكذا استمر التوتر بين اللاهوت متمثل في الكنيسة وبين السياسة متمثلة في الدولة على مدى العصر الوسيط، وكانت الكنيسة عاده هي المسيطرة لأنها كانت قوة جامعة بينما القوات المدنية كانت منقسمة ومبعثرة. ومع ذلك كان هناك مبدأ السيفين أو القوتين، إحداهما الكنيسة والأخرى الدولة، لكن البابوية شرعت في انتهاك هذا المبدأ أكثر فأكثر. وبلغت الأمور قمة التحدي لما أنكر البابا بونيفاس الثامن(76) حق الملوك في فرض ضريبة على الإكليروس، ووضع بيانات تطالب بالسلطة المطلقة للبابوية على كل الناس وفى جميع الشئون. وأعاد تعريف مبدأ السيفين في مرسوم بابوي على أن السيفان الروحي والمادي كلاهما في سلطان الكنيسة. لكن الثاني يجب أن يُستخدم للكنيسة، الأول بواسطتها. إذن أحد السيفين يكون تحت الآخر، والسلطة الدنيوية تخضع للروحية....(77)

وحينما ظهر لوثر في ساحة كانت الأجواء لا تختلف كثيرًا عما سبق فالنزاع والجدال بين اللاهوت والكنيسة كان قائمًا، الأمر الذي صاعده لما قام بثورته الإصلاحية ضد النظام البابوي، حيث نجد الملك فريدريك يقف لدعم لوثر وحركته الدينية، بعد نشر الأخير لاحتجاجاته. بل إنه من غير المستبعد أن يكون

---

(70) تاريخ التسامح في عصر الإصلاح: (ص ٤٩-٥٠).

(71) اللومبارديون: هم شعب الذين استوطنوا لومبارديا، أحد أقاليم إيطاليا الشمالية. ينظر: الموسوعة العربية: (217/17).

(72) ينظر: تاريخ الأوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح لعشور، ط2: (ص 127-128)، دار النهضة العربية، بيروت-2015م.

(73) هو الملك شارلمان، المسمى أيضًا تشارلز الأول، (747 - 814)، ملك الفرنجة، وملك اللومبارديا، وأول إمبراطور (800-814) للرومان أو كما سمي لاحقًا بالإمبراطورية الرومانية المقدسة. ينظر: https://www.britannica.com/biography/Charlemagne

(74) نشأة البابوية وتطورها، أحمد تركي الشريدة: (ص 395)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 45، العدد 4، الجامعة الأردنية-2018م.

(75) تاريخ أوربا في العصور الوسطى، لبنى رياض عبد المجيد، محمد حمزة حسين، ط1: (ص 166-167)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمَّان-2015م.

(76) البابا بونيفاس الثامن (1235 -1303م)، كان بابا الكنيسة الكاثوليكية بين عامي 1294-1303م، اشتهر بعداوته مع شاعر الإيطالي دانت أليجيري، الذي وضعه -في كوميديا الذي كتب- في طبقة الثامنة من الجحيم الملتحمة. ينظر: الموسوعة الكاثوليكية: https://www.newadvent.org/cathen/02662a.htm

(77) ينظر: تاريخ الكنيسة، لوريم: (30/4-31).

كل نتاج لوثر اللاهوتي في المرحلة الممتدة من سنة ١٥١٧م وحتى سنة ١٥٢٢م قد كتب بتوجيه من الملك نفسه، فهو يحمل مضامين سياسية واضحة، وأقل ما يقال عنها إنها مثلت غطاء عقائدياً لثورة سياسية واجتماعية، حركها الشعور القومي الألماني تجاه هيمنة الامبراطورية الرومانية السياسية المعززة بسلطة البابا الروحية.

لقد أخذ الإصلاح الديني بعدًا سياسيًا معززًا بشعور الألمان بأنهم مستغلون من قبل البابا وامبراطورهم الروماني، فكان طبيعياً أن يسعى الامراء والنبلاء الألمان إلى أن يتخلصوا من الاستغلال والتبعية. ومن هنا راحت الروح القومية أو اللاهوت السياسي يدب في رسائل لوثر وخطابه التحريضي، إذ يقول: "سوف أبرهن أن في ألمانيا رجالاً يفهمون التحايل الروماني. فها قد مضى زمن مديد وأهل روما يسخرون منا ويعاملوننا كأغبياء".(78)

وهذا كله جعل لوثر يشارك في الصراع ويكون له رأي وقول فيها، والتي لعب دورًا ملموسًا في تحديد وظائف لكل من اللاهوت والسياسة.

المطلب الثاني: اللوثرية وموقفهم من الدولة والعنف.

رأينا فيما سبق كيف أن لوثر كان يزعجه بشدة فساد الديني الذي كان يتمثل في نظام البابا والإكليروس في روما، لذا ركز هجومه الأكبر على هذه المنظومة الفاسدة، محاولاً أن يفكك الجدار حمايتهم الذي من خلاله كانوا يتمتعون بالسلطة فوق الجميع حتى وإن ارتكبوا أخطاءً فاضحة. وقد بين لوثر مساعيه ذلك في خطابه المفتوح إلى النبلاء المسيحيين في الأمة الألمانية حيث قال في مقدمتها: "قام الرومان -البابا وأتباعه من رجال الدين-، ببراعة كبيرة، ببناء ثلاثة جدران حولهم، دافعوا خلفها حتى الآن عن أنفسهم بحكمة بحيث لم يتمكن أحد من إصلاحها. وكان هذا هو سبب الفساد الرهيب في جميع أنحاء عالم المسيحي. أولاً، عندما ضَغَطَ عليهم السلطة الزمنية، أصدروا مراسيم وقالوا إن السلطة الزمنية ليس لها سلطة قضائية عليهم، ولكن، من ناحية أخرى، أن السلطة الروحية تكون فوق السلطة الزمنية".(79)

في أيام الأولى من الإصلاح كان تفكير لوثر عن الدولة والحكومة: أن المسيحيَّ الحق لا يحتاج إلى الحكومات؛ لأنه لن يرتكب الشر أو يقاوم وقوعه عليه، غير أنه أدرك أن القليل من مخلصي الإيمان يحيون حياة مسيحيةً نموذجيةً، ومن هنا رأى أن السلطات المدنية ضرورية لإحكام السيطرة على الشرور.(80)

إن الإصلاح اللوثري يرى سلطة المحاكم سنة صادرة عن إرادة الله صدوراً مباشراً. إن للسياسة ضروراتها ومبادئها وقواعدها، بل حتى أخلاقها الخاصة بها، وهي أمور لا يحق للدين أن يتدخل فيها، وما يخلع صفة الألوهية على الحاكم ليس تمثيله للحق والعدل والمحبة، بل حيازته القوة أو السيف الذي وضعه الله بين أيدي الأمراء، ليحاربوا به الشيطان، أي ليعاقبوا الانشقاق والتمرد والفوضى ولكن السيف لا يرحم أبداً، ففي تعريفه يدخل معنى القساوة والبتر. إن كانت الكنيسة المسيحية تبشر بالمحبة والصفح عن الإساءة والسلام، فالدولة فينبغي لها أن تفرض السلام، وهي لا تستطيع ذلك إلا بالقسر والسيف والحرب، فإذا كانت الدولة محاربة، وبدت قاسية ومستبدة، فهذا ليس ذنبها، بل ذنب الوضع الفاسد الذي يعيش فيه العالم. وإذن -فالمسيحي من حيث هو مؤمن- يعيش في ملكوت اللطف الرباني غير المنظور، ويمارس أخلاق المحبة والصفح، ولكنه -من حيث هو عضو في دولة ما، بل من حيث هو خاضع للسلطة على نحو أصح- ينبغي له أن يتخذ موقف الخضوع المطلق تجاه السلطة التي أقامها الله.(81)

فبهذا يبدوا أن لوثر كان باراً بولي نعمته، حيث أكد أن السلطة المدنية شرعية وليست ظالمة، فالشر لا يمكن لأي كان أن يقضي عليه. والأمير وحده هو المسؤول. والمسيحي لا يثور ويتحمل العذاب والظلم.

---

(78) مارتن لوثر سيرة ذاتية، غوبري: (ص 189).

(79) An Open Letter to The Christian Nobility - Luther. Open Letter to The Christian Nobility by Martin Luther (1483-1546) I. The Three Walls of the Romanists

(80) ينظر: مارتن لوثر مقدمة قصيرة جدًا: (ص 40)

(81) ينظر: الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه، جان إدوار سبنله، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، ط1: (ص 22)، دار الكتب العلمية، بغداد- 2022م.

مبرراً ذلك بالقول: "يوجد في هذه الدنيا مملكتان: الأولى مملكة الرب، والثانية مملكة الدنيا. المملكة الأولى ترتبط بها النعمة والرحمة، أما المملكة الثانية فهي مكلفة بالحكم، والقصاص، والقمع حيال الاشرار، مثلما هي مكلفة بحماية الصالحين والخلط بين المملكتين يعني أننا نضع الشيطان في السماء والله في جهنم".(82)

وبناء على هذا فعلى الحكام الزمنيين أن يمارسوا سلطتهم دون عائق أو اعتراض بغض النظر عما إذا كانوا يسيئون إلى البابا أو الأسقف أو القس... وكل ما نص عليه القانون الكنسي مما يناقض ذلك من خالص بنات أفكار الوقاحة الرومان. (83)

وأخذ لوثر يروج لهذا النهج فرفض الاعتراف بالمحاكم الأسقفية والقانون الكنسي، وأصبحت المحاكم المدنية في أوروبا اللوثرية هي المحاكم الوحيدة كما أصبحت السلطة الزمنية هي السلطة الشرعية الوحيدة. وعين الحكام الزمنيون موظفي الكنيسة وانتزعوا أملاكها وبدأوا في الاشراف على مدارسها مبرات الأديرة. وظلت الكنيسة والدولة مستقلتين إحداهما عن الأخرى من الناحية النظرية وإن أصبحت الكنيسة بالفعل خاضعة للدولة. وهكذا قدر للحركة اللوثرية التي كان يعتقد أنه الحياة بأسرها للاهوت أن تقدم، بلا قصد ورغم أنفها، ذلك التحول الشامل نحو الدنيوية الذي أصبح الموضوع الأساسي في الحياة العصرية.(84)

وهكذا لعبت حركة الإصلاح الديني دورًا كبيرًا في المجال السياسي فعلى الرغم من طابعها الديني إلاّ أن النتائج التي أسفرت عنها في الأخير تولدت عنها نظرة أخرى للحياة، فقد خرجت من هذه الثورة الدينية ثورة خفية استطاعت تحرير السياسة من قبضة رجال الدين بل أن ضرورة كسب السلطة والمحافظة عليها، أصبحت مبنية على تفوق الحاكم وشطارته ودفاعه عن موقعه فقد أصبح قادرًا أن يخضع الأديان لحكمه، ويستفيد من مؤازرة الإله له، وعلى الرغم من بقاء الصورة الدينية في الهيكلة الخارجية لأي نظام، إلا أنه لم يعد يشكل عائقًا كبيرًا، فقد أصبحت وظيفة الحاكم التي تشغله هوا الاهتمام بنوع العلاقة التي تجمع الأفراد فيما بينهم، وداخل الدولة ثم عالقة هذه الأخيرة بأنظمة الحكم الخارجية، بالإضافة إلى ذلك أصبحت حرية الرأي والنقد ممكنة بعض الشيء وأصبح التصريح بالأفكار ممكنًا إلى حد ما، وقد نشطت الكتابات السياسية مختلفة.(85)

المطلب الثالث: التغييرات التي أحدثتها اللوثرية.

لقد لعب اتجاه اللوثري دورًا مهمًا في تغيير نمط الحياة في مجتمع الألماني والدول التي انتشرت فيها، حيث أحدثت نقلاً في كل من فكر الديني والسياسي والمجتمعي، وقد سبق أن تحدثنا عن تغييرهم في مفهوم الديني، لذا سنواصل الحديث في هذا المطلب عن تغييراتهم في مفهوم السياسي والسلطة.

1- **تحطيم استيلاء سلكة الكنيسة على سلطة الدولة:** استمرت محاولات رجال الدين في روما قرنًا من الزمان لجعل الكنيسة مهيمنة على الدولة، لكن أراد لوثر تحطيم هذه المحاولة وإظهار كيف تعمل الكنيسة والدولة معًا تحت حكم الله. فجادل بأن الله يعمل في العالم الروحي من خلال الإنجيل وفي العالم الزمني من خلال السلطة العلمانية. وبين لوثر وجهات نظره حول كيفية عمل بين الكنيسة والدولة قائلاً: "يجب على الحكومة أو السلطة الروحية أن توجه الناس عموديًا نحو الله حتى يفعلوا الصواب ويخلصوا. كما يجب على الحكومة العلمانية توجيه الناس أفقيًا نحو بعضهم البعض، والتأكُد من أن الجسد والممتلكات والشرف والزوجة والطفل والمنزل وجميع أنواع الخيرات تبقى في سلام وأمن ومباركة على الأرض. يريد الله أن تكون حكومة العالم رمزًا للخلاص الحقيقي وملكوته السماوي".(86)

2- **تعديل العلاقات بين الكنيسة والدولة:** كانت الكنيسة في القرون الوسطى مستقلة عن الدولة، فكان لها تنظيمها وقانونها الكنسي ونظامها المالي الخاصة بها. وكانت من بعد عالمية مترفعة عن الفروق القومية

---

(82) ينظر: لوثر سيرة ذاتية، غوبري: (ص 362).

(83) ينظر: Open Letter to The Christian Nobility by Martin Luther (1483-1546)

(84) قصة الحضارة: (67/24).

(85) الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي: (ص 48).

(86) Martin-God's Court Jester (Luther in Restrospect), Eric W. Gritsch, (p. 119), Published by Sigler Press, 2009.

والسلطات الزمنية المتغيرة. ولكن الكنيسة اللوثرية انطبعت بطابع الإقليمية والمذهبية وانصاعت لوصاية الدولة التي أخذت تنظم الشعائر الدينية وتمارس الرقابة وتعين الكهنة وتدفع رواتبهم، وتحمي العقيدة. وبذلك فوّض أمر حق الإصلاح والسلطة الأسقفية إلى الأمراء ذوي السيادة المطلقة يمارسونها داخل حدود ممالكهم، فلم يكن لهم من قضاة يحاكمونهم غير ضمائرهم، ولم يكونوا مسؤولين إلا أمام الله، بل لم تكن هناك فوقهم أية محكمة روحية، ولم يكن هنالك ما يجبرهم على ممارسة شعائر الدين أو اللجوء إلى موجّه، روحي، بل لم يكن هناك ما يجعلهم في خوف من صواعق الكنيسة.(87)

3- **النظام السياسي ضروري وإن فقد شرعيته:** خلافًا لنظام لاهوتيين كنيسة روما الذين حاولوا السيطرة على السياسة والحكام، فإن لوثر تحالف مع الحكام لأنهم في نظره مفوضون من الله تعالى، ووجودهم ضروري ليستتب الأمن بين المجتمع. حتى وإن كان حيز السياسي يفقد شرعيته لدى مارتن لوثر إلا أنه ضروري، خاصة إن استتب الفوضى وفقد العدل، وكل أراد أن يثبت العدل على طريقته، فإن الحكومة وإن كانت غير العادلة فإنها أفضل من ترك الأمر فوضى، كما أن على النظام السياسي إن كان مضطرًا في مثل هذه الأحوال أن يلجئ إلى أية شرعية كانت، وعلى هذا فلا يجب طاعة الدولة لأنها متوافقة مع العدل أو مع الحق، ولكن لكونها تقوم فعلاً بدور حفظ النظام وهو الدور المنتظر منها. وهكذا فإن مارتن لوثر لم ينقذ الدولة الألمانية من نقد الإصلاح الديني فحسب، بل زودها أيضاً ببرهان لاهوتي من الحجة الوضعية الخاصة بالقوة.(88)

4- **إظهار نزعة الوطنية القومية:** لقد كان لوثر في حركته الإصلاحية أكبر داعيًا للقومية الألمانية حيث أعلن أن ألمانيا يجب أن تكون للألمانيين، ومن هذه الناحية تعد حركة لوثر ذات بعد قومي. ولا شك أن الألمان قد رحبوا بهذه الفكرة بسبب معاناتهم من التدخل الخارجي لفترة طويلة من الزمن، فقد كره الألمان البابا لأنه إيطالي والامبراطور لأنه أسباني. وساعد شعور الكراهية هذا على التفاف العناصر الألمانية حول لوثر. وهكذا لم يعد لوثر في نظر الألمان مصلحاً دينياً فقط، بل زعيماً قومياً أيضاً. زيادة على ذلك فقد انعكست في مزاج لوثر العاطفي كل عناصر القوة والضعف في الشخصية الألمانية.(89)

5- **إبراز نزعة الفردية:** لقد انشق لوثر وغيره من المصلحين عن كنيسة الكاثوليكية الرسمية، وهذا يتطلب أن يمحو سلطة الكنيسة الكاثوليكية من عقول أتباعه، ولكي يفعل هذا كان لا بد أن يحثهم على التفكير بأنفسهم. وانبرى هو وأنصاره لبذل جهد كبير لتشجيع نزعة الفردية. وألهمت مناشدته بالاحتكام إلى الضمير بمجلس ورمس فلاسفة عرص التنوير بالنظر إليه على أنه مناصر للحرية الفردية في مقابل الهيمنة العقائدية الدينية. (90)

وهكذا نشأت الذات الفردانية كذات دينية وأخلاقية معًا، وبهذا أرست اللوثرية الأخلاق المسيحية على المذهب الإرادي اللاهوتي، وبمناداتها بحرية الدين مهدت الطريق لحرية الضمير وللمواطنة حيث صنعت من الإنسان المسيحي مواطنًا ينذر نفسه لتحقيق غايته الأخلاقية والسياسية.(91)

6- **نشر التعليم في أوساط المجتمع:** مع أن الإصلاح لم يضف شيئاً ملحوظًا إلى مضمون التعليم إلا أنه ساعد كثيراً على انتشاره. فبعد أن استقرت الأوضاع وتركزت شروط الحياة بذلت جهود في جميع البلاد البروتستانتية من أجل تثقيف الجماهير وتسليحهم بالوسائل الضرورية لقراءة التوراة على الأقل. وارتفع صوت لوثر بقوة داعياً إلى التعليم الشعبي. ويعود إلى عهد أتباعه تأسيس معظم المدارس الاستعدادية في

---

(87) الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه: (ص 21).

(88) ينظر: الدولتان السلطة والمجتمع في الغرب وبلاد الإسلام، برتران بادي، ترجمة: لطيف فرج، ط1: (ص 74-٧٥)، مدارات أبحاث والنشر، القاهرة- 2017م.

(89) ينظر: تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848، ميلاد أ. المقرحي، ط1: (ص 96-97)، المنشورات جامعة قاريونس، بنغازي-1996م؛ أصول تاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى ثورة الفرنسية: (ص ٩٨).

(90) ينظر: تشكيل العقل الحديث: (ص 111).

(91) مارتن لوثر أصولية دينية تمهد للحداثة: (ص 27).

ألمانيا للطبقات الكبيرة العليا والمتوسطة يعود إليهم أيضاً فضل تأسيس المدارس القروية التي عملت على انتشار التعليم في ألمانيا.(92)

المبحث الثاني: آثار الكنيسة اللوثرية على نمط السياسي

المطلب الأول: نظرة اللوثرية لحرية الفرد والمجتمع.

سنحاول في هذا المطلب أن نلقي الضوء أكثر حول نظرة اللوثرية لحرية الفرد والمجتمع، أو بعبارة أخرى هل ذاق أتباع الكنيسة اللوثرية أفرادًا أو مجتمعات الحرية المنشودة والتي كانت محور كثير من المعارك والسجالات الفكرية بين الإصلاح والكنيسة الكاثوليكية؟

لقد فطن لوثر وزملاؤه في مسيرتهم الإصلاحية وأثناء تنظيمهم للكنائس البروتستانتية، أنه أصبح من الضروري وضع بعض القواعد والسياسات التي يقوم مبدؤها الرئيسي، لا على اتباع الآيات والتقاليد الإنجيلية بحذافيرها، بل على تيسير الحرية المسيحية وحمايتها. ويقول لوثر بوضوح شديد: "أنا أعلِّم الناس ألا يثقوا إلا في يسوع المسيح وحده، لا في الدعاء أو فضائلهم أو حتى أعمالهم". لعل الكتاب المقدس كان في حد ذاته المرجع الرئيس للبروتستانتيين الآخرين، إلا أنه لم يكن كذلك للوثر؛ كان مرجعًا لأن قصته عن الوعد والخلاص عرفت الحرية المسيحية وأصرت عليها. (93)

كان لوثر يرى أن العبادات والقوانين التي أفرضتها الكنيسة عبر الأجيال لا يمكن أن ينال منها الخلاص البشري، بالعكس فإن كثير منها تعتبر وثنية واستعبادًا للروح الإنسان، لذا كتب في كتابه المشهور "سبي بابلي" عام 1520م: "إني، إكرامًا لهذه الحرية وهذا الضمير، أصرخ وأصرخ بجرأة: لا يمكنكم فرض أي قوانين على المسيحيين، أمن الملائكة جاءت أم من البشر، إلا في حالة موافقتهم عليها، لأنهم أحرار في كل شيء".(94)

يعبّر لوثر هنا عن جوهر الإيمان الإنجيلي. فالمؤمن المسيحي هو من يدرك أنه قد تحرّر من قيود القانون وأن برّه يأتي بالكامل من المسيح مخلصه، ويجعله إيمانه سيد الأحرار، لا يخضع لأي كان، لكن هذه الحرية بدورها تقوده للعمل والخدمة ومحبة الله والقريب، فيجعله أكثر الخدام برًا.

من ناحية أخرى شجع لوثر وأصحابه من رجال الدين عبر مقاعد الدراسية في الجامعات التابعة لمذهب اللوثري كل الدارسين لتحرر من قيود السابقة في فهم الكتاب المقدس وتفسيره، كما سمح لرجال الدين والرهبان بالزواج. ففي مثل هذه الأجواء شعر الناس أفرادًا ومجتمعات بنوع من الحرية المنشودة، وبدأ الإصلاح يتوسع يوم بعد يوم ويأخذ تأييدًا مستمرًا من المفكرين ورجال الدين والسياسة.

لكن لما تحالف لوثر مع الأمراء وتقارب معهم وجعل اللوثرية مذهب الرسمي لكل الإمارات التي انتشرت فيها، انتكس وتناقض محاولاً أن يكون هناك ثنائية الصورة لدى الإنسان، فجعله مواطن في مملكتين: روحية ومدنية. أو باختصار صور الإنسان كائنًا ينتمي إلى كل من الأرض والسماء، أي إلى ما هو دنيوي وما هو أزلي، فيخضع للقانون الدنيوي ويستقبل الإنجيل، فيكون بذلك حرًا تمامًا في المملكة الروحية، وهو أسير تمامًا في المملكة الدنيوية.(95)

وما استهجنه لوثر في الكنيسة الكاثوليكية من مزج للسلطتين الدينية والدنيوية، ومن البابا لوظيفتي رأس الأحبار والملك في شخصه ومنصبه، أبقاه في الكنائس المصلحة وثبته. فجمع بذلك القول ونقيضه الفعل، والصيف والشتاء على سطح واحد. وفي ذلك يتساءل المفكر رانكه(96) مندهشاً وحائراً: كيف كان

---

(92) تكوين عقل الحديث: (ص ٢٥٧-٢٥٨).

(93) مارتن لوثر مقدمة قصيرة جدا: (ص 41).

(94) The Babylonian Captivity of the Church, Luther, (p. 40).

(95) ينظر: تاريخ فلسفة السياسة: (469).

(96) هو: ليوبولد فون رانكه (1795 - 1886م)، مؤرخ ألماني ولد في ساكسونيا من أسرة لوثرية، التحق رانكه بجامعة ليبتسيج، حيث كان يدرس مواد الكلاسيكيات وعلم الإلهيات اللوثرية، وأصبح رانكه أستاذًا في فقه اللغة وترجمة كتب القدامى إلى الألمانية. ينظر: https://www.britannica.com/biography/Leopold-von-Ranke

للوثر أن يرضى بأن يقوم في معسكره المناوئ للبابا ذلك الخلط بين العنصرين الزمني والروحي الذي استقطعه في البابوية؟![97]

ويذهب مرسيل بريلو[98] إلى أبعد من ذلك، فيعتبر أن لوثر بتماديه في الخلط بين الزمني والديني، قد قضى على جوهر الثورة الإنجيلية، والذي يتجسّد في الحرية الإنسانية، يقول: "لقد ولدت الحرية الإنسانية يوم تم الفصل بين ما لقيصر وما لله، والحال أن لوثر تخلى عن هذا الفتح الكبير للمسيحية، فهو يعيد إلى قيصر كل ما هو من هذا العالم ولكن من دون أن يستثني منه ما هو لله".[99]

وقد حدث حقًا ما قاله بريلو لأن لوثر بعد اصطدامات الإمبراطور وقوى الكاثوليكية مع الأمراء اللوثريين صلب الحريات العامة من الأفراد والجماعات وأعطاها للأمراء ففي معاهدة أوغسبورغ تم الاتفاق على أساس الاعتراف بحرية الأمراء في اختيار الدين، وعلى رعاياهم أن يتبعوا سيادتهم في قضية الدين. هنا تلاشى حرية الفرد والمجتمع، لأنهم وإن كانوا أحرارًا في اختيار بين الكاثوليكية واللوثرية، فإنهم ليسوا أحرارًا لإظهار مذهب الكاثوليكي في مقاطعات اللوثرية، بل عليهم إما أن يتحولوا إلى اللوثرية أو أن يغادروا إلى مقاطعات تكون تحت سيطرة الكاثوليكية.

ورأى سباستيان فرانك[100] أن هناك حرية في التعبير عن الرأي والعقيدة بين الأتراك المسلمين أكثر مما يوجد في الولايات اللوثرية، وانضم ليوجد من أنصار زونجلي في وصف لوثر بأنه بابا آخر.[101]

وقد صارع مصلحون دينيون آخرون لوثراً، فوافقوه في مطاردة الهراطقة فيما يزعمون- فقد حث بوسر الستراسبورجي[102] السلطات المدنية في الولايات البروتستانتية على إبادة كل مَن يعتنق ديناً "زائفاً"، وقال: "إن مثل هؤلاء الناس أسوأ من القتلة، وأنه يجب القضاء حتى على زوجاتهم وأولادهم وماشيتهم". وقبل ميلانكتون، الرقيق الحاشية نسبياً، أن يرأس التفتيش العلماني الذي قمع حركة المعمدانيين في ألمانيا بالسجن أو الموت. وتساءل قائلاً: "لماذا نشفق على أمثال هؤلاء الناس أكثر من الله؟"[103]

لكن بعد ثورة الفرنسية والتي أنتجت بداية صعود العلمانية وفصل الدين عن الدولة بشكل النهائي، تغيرت الأوضاع الدينية في الغرب، بحيث كان هناك حريات أكثر، وبسبب أن الدولة أصبحت علمانية، فلا يلاحق المواطن لانتمائه الديني، وظهر هذه الصورة بشكل أوضح في القرنين الآخرين، خاصة بعد الحروب العالمية، وقد شارك اللوثريون في وضع الوثيقة الحريات للجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1948م، ومن ضمن ما جاء فيها خاصة في مادة 18: "لكل فرد الحق في حرية الفكر والوجدان والدين. يشمل هذا الحق حرية تغيير دينه أو معتقده، وحريته، سواء بمفرده أو مع جماعة، علناً وسراً، في إظهار دينه أو معتقده بالتعليم والممارسة والعبادة وإقامة الشعائر.[104]

لكن لو دققنا النظر سنجد أن مشاركة الكنائس في وضع مثل هذه الوثيقة لم تأتي برغبة منها أو لأنها تؤمن إيمانًا عميقًا بصحة هذا المبدأ، لكنها وليدة الحاجة، جاءت بسبب الضغوط السياسات العالمية، -بعد

---

[97] معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ط3: (ص 590)، دار الطليعة، بيروت-2006م.

[98] مارسيل بريلو (1898-1972م)، هو عالم فرانسي وأستاذ بكلية الحقوق في باريس، سياسي ودستوري في فرانسا، ومؤسس لحزب الشعبي الديموقراطي. ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Marcel_Pr%C3%A9lot

[99] معجم الفلاسفة: (ص 590).

[100] سيباستيان فرانك، (1499-1542م)، مصلح بروتستانتي ألماني وعالم لاهوت تحول من الكاثوليكية إلى اللوثرية لكنه أخيرًا ابتعد عن آراء مارتن لوثر، مؤكداً على موقف صوفي في مقابل الإيمان العقائدي. عان وطرد من قبل اللوثريين بسبب أرائه. ينظر: https://www.britannica.com/biography/Sebastian-Franck

[101] قصة الحضارة: (145/24).

[102] مارتن بوسر (1491-1551م)، هو مصلح بروتستانتي ألماني، بدأ كراهب دومينيكاني، تم تأثر بتعاليم مارتن لوثر وجون كالفن بعد أن تعرف على مارتن لوثر شخصياً في سنة 1518م، اشتهر بمحاولاته المتواصلة لتحقيق السلام بين مجموعات الإصلاح المتضاربة. ينظر: https://www.britannica.com/biography/Martin-Bucer

[103] قصة الحضارة: (145/24)

[104] ينظر: مقالة: السلام وحرية الدين https://www.livinglutheran.org/2018/06/peace-and-freedom-of-religion/

تحوّل أوروبا إلى أرض خراب-، ولحفاظ بمكانتها في زمن يشهد الغرب النصراني انفلات ديني كبير، ونموًا مروعًا للإلحاد. وفي أيامنا هذه تستخدم مثل هذه القرارات كورقة لإظهار التسامح الغربي الزائف، ولضغوط على الدول أخرى خاصة المسلمة حتى لا يبقى هناك المقدَّسات ولا ثوابت الدينية والأخلاقية، متناسين أنهم أبناء من أوجد محاكم التفتيش، وأن الإسلام سبق التشريعات الوضعية بما فيها -النصرانية- في إقرار الحرية الدينية، وكفلها لجميع البشر.

ومن ضمن الحريات التي قررها الكنيسة اللوثرية ولتي استنتجها من شعار لوثر القديمة "كهنوت جميع المؤمنين"، قرارا بترسيم النساء كراعيات للكنيسة، الأمر الذي لم يكن معروفًا من قبل، وفي عام 2020م احتفل الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا بالذكرى السنوية الخمسين لقرار الكنائس اللوثرية الأمريكية بترسيم النساء، وبالذكرى السنوية الأربعين لترسيم أول امرأة ملونة راعية للكنيسة.(105)

وبسبب تماشي مع الحريات العامة وتحول الثقافي قد وصل الأمر لدى التيار اللبرالي للطائفة اللوثرية إلى تمييع، والمجاملة بل إلى انسلاخ من كل المبادئ الدينية والأخلاقية، فقرروا رسامة قساوسة المثليين جنسيًا.(106)

وأنكر المحافظون داخل الكنيسة اللوثرية مثل هذه القرارات، وقام عدد كبير منهم بمغادرة وخروج من المنظمة، كما قام عدد من الكنائس قطع علاقات مع المنظمات اللوثرية الداعمة لهذا الفكر سواء في أمريكا نفسها، أو من الكنائس حول العالم.(107)

وهكذا أصبحت اللوثرية اليوم بدعوى الحرية إلى طرفي النقيض، فإننا نجد لوثر مؤسس الأول بدليل الحرية يناضل ضد الرهبنة ويدعوا إلى أمر فطري وهو الزواج رجال الدين، بل وإلى تعدد النساء، أما في وقتنا الحالي، فقد رجع القوم إلى الرذيلة والفاحشة التي يدينها جميع الرسالات، وجميع فطر السليمة.

المطلب الثاني: اللوثرية والقيم

إنّ القيم الأخلاقية هي أساس رقي الأمم وازدهارها، فقد أرسل الله رسله وأنزل كتبه لتحثّ العباد على القيم الأخلاقيّة التي من خلالها ينظّم المرء علاقته بكل ما يحيطه، فالأخلاق تنظّم علاقة العبد مع ربه ومعبوده فيعبده وحده لا شريك له، وتنظّم علاقته مع نفسه بما يحقّق سعادته في الدنيا والآخرة، كما تنظّم علاقة الإنسان مع غيره من حيث تعامله مع أبناء جنسه.

ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم السلام المثل الحي والصورة المثلى في تحقيق القيم الأخلاقية، ومنهم عيسى بن مريم عليه السلام الذي قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 30-34]

ووُجِد في الأناجيل عديد من القيم الأخلاقية التي دعا إليها المسيح عليه السلام بنوا إسرائيل منها: "طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ".(108) و: "وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا".(109) و: "اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ. وغيرها كثير".(110) وغيرها.

---

(105) ينظر: https://www.elca.org/50yearsofordainedwomen

(106) ينظر: https://www.thelocal.se/20091109/23148؛ https://religionnews.com/2013/06/03/elca-lutherans-elect-first-openly-gay-bishop/

(107) ينظر: https://religionnews.com/2013/06/03/elca-lutherans-elect-first-openly-gay-bishop/

(108) بطرس الأولى: (1: 22).

(109) يوحنا الأولى: (4: 21).

(110) لوقا: (6: 45).

وكان المسيحيون الكاثوليك يرون أنّ الوحي الإلهي هو المصدر الأساسي في العقائد والأخلاق، إلا أنّه تقرر لديهم أنّ الكنيسة هي التي تفسر مشيئة الله المعلنة في الكتاب المقدس، وتفرض هذه المشيئة كما تفهمها وتفسرها على الإنسان، أي أن الكنيسة تجعل من نفسها نائبة عن الله في وضع قواعد الاخلاق وبشكل ما تتحول سلطة الله أو الوحي إلى سلطة الكنيسة.(111)

لكن مع مرور الأيام فسدت أخلاق الكنيسة ورجالها، ووصلت إلى أدنى درجات الانحطاط على صعيد الروحي والخلقي. وقد قام عدد من الباباوات يتاجرون بوظائف الكنيسة كما عرفوا بحبهم للبذخ والمتعة والترفيه. فكانت بابوية دنيوية تهتم أساسًا بالسياسات الإيطالية، وكانت مركزًا لبلاط غنى عالمي فاسد وعاجز عن تقديم قياده روحية فعالة وإرشادات للكنيسة، وحقًا كان هذا البلاط يغوص منحدرًا إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية.(112)

ولما ظهر لوثر وبدأ بعملية الإصلاح الديني، كان من ضمن ما قام به أنه هاجم البابا وأعلن أنه يحتقر الإدارة البابوية والسلطة الحاكمة في كنيسة روما آنذاك، لأنها أصبحت بالغة الفساد وباب الجحيم بعد أن كانت قبلاً وباب السماء، ويتذكر الرذيلة التي شاهده في روما قائلا: "إن البابوات أسوأ من الأباطرة الوثنيين، وإن اثنتي عشرة فتاة عارية كن يقمن بخدمة رجال البلاط البابوي وقت العشاء".(113)

لكن مع كل محاولات الإصلاحية فإن لوثر لم يستطيع تقديم شيء واضح في عملية القيم الأخلاقية لأن اهتمامه الأول والأخير كان الحصول على الخلاص الروحي، الذي يتأتى من قبل الإيمان بالمسيح كمخلص، لا بالأعمال الخارجية. لذلك ليست الأعمال الأخلاقية التي تفهم على أنها أعمال صالحة ذات أهمية دينية، بل التبرير بالنعمة من خلال الإيمان بالمسيح هو الذي يصحح العلاقة بين الشخص وبين الله. الحياة الأخلاقية هي نتيجة هذه العلاقة وليس مصدرها.(114)

أصر لوثر على أن الدين لا يقوم بالأساس على الأخلاقيات الشخصية بل على الإيمان والعدل وليس على تحسين الذات إلى الحد الذي يكسب المرء الخلاص، بل على تحسين حياة الآخرين كما أراد الرب بالأساس للبشرية؛ فصرَّح بأنه، فيما يتصل بعلم اللاهوت ثمة نوع آخر من الأعمال التي تختلف لوثر عن الأفعال الأخلاقية فاستغلال الدين لتحسين الذات على حساب الآخرين هو ضرب من الوثنية، وهي الخطيئة التي اتهم العالم المسيحي في العصور الوسطى باقترافها. وفي مقابل الوثنية يوجد الإيمان والحب، أي الثقة في الله وخدمة الآخرين.(115)

إذًا فإن لوثر كان يركز على الإيمان النشط في الحب، مما يعني أن المؤمن يتخذ خيارات أخلاقية في الحرية، دون قواعد وقوانين محددة مسبقًا. وهكذا فقد تجنبت اللوثرية فكرة الروح المسيحية على وجه التحديد لكنها أصرت على أن مكان المسعى الأخلاقي هو الحياة العادية المشتركة، حيث يُطلب من المؤمنين المسيحيين خدمة جيرانهم. هذا التعليم الأخلاقي، لذلك، أكد على قدسية جميع الأنشطة البشرية وأكد أنه يجب متابعة الحياة الأخلاقية بصرف النظر عن القواعد القانونية فيما أسماه مارتن لوثر "الحرية المسيحية".(116)

فمع أنه أكد على أن عقيدة المسيحية الأساسية لا تتمحور حول الفضيلة، بل حول الإيمان، فقد ذكر أيضًا أن الإيمان الحق لا يتجزأ عن المحبة والرأفة، ففي عظة أدلى بها بعد عودته من مدينة فيتنبرغ عام ١٥٢٢م وبخ مستمعيه قائلا: "أنتم على استعداد للتمتُّع بكل الأطايب التي وهبها لنا الرب في القرابين المقدسة. لكنكم لا تبدون استعدادًا لمنحها ثانية في صورة محبة.... وا أسفاه! لقد استمعتم إلى الكثير من

---

(111) علم الأخلاق المسيحية، القس فايز فارس، ط1: (24/1)، دار الثقافة، القاهرة.

(112) ينظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريم: (35/4).

(113) قصة الحضارة: (15/24).

(114) ينظر المقالة: الحياة الأخلاقية المسيحية وجهات نظر الكاثوليك واللوثريين، توماس أ. نيرن. https://www.elca.org/JLE/Articles/1019

(115) مارتن لوثر مقدمة قصيرة جدا: (ص 110-111).

(116) https://www.britannica.com/topic/Lutheranism/Organization

الخطب الدينية عن هذا، وكتبي مليئة بالموضوعات التي تتناول هذا الشأن، والتي كتبت لهذا الغرض: لحثِّكم على الإيمان والمحبة.(117)

وثمة جانب آخر من تعاليم مارتن لوثر الأخلاقية يتميز بها، إذ أنه يفرق بين الأخلاق الشخصية، والأخلاق الاجتماعية. وفي هذا الجانب نرى ازدواجية عجيبة في التفكير تعتبر من أهم نواحي النقد التي وجهت إلى تعاليم لوثر الأخلاقية.

لقد جعل لوثر مبادئ الإنجيل الأخلاقية قاصرة على الأخلاق الفردية، أما الأخلاق الوظيفية فقد أخذها من معايير الأخلاق الدنيوية، وهذه لا شك أنها لا تتماش مع تعاليم المسيح التي كان ينادي لوثر بقوة أنه يدعوا إليها، ولتي على ما يبدوا أنه فهمها فهمًا معاكسًا وعلى غير مرادها.

كذلك نجد النقاد قد وجهوا له لوم على بعض التصريحات التي لا تتفق مع القيم الأخلاقية، بل يمكن القول أنّها كان تقريرًا لنوع من الرذيلة والفاحشة.

بما أن المسيحية ترى أن الإنسان يحمل عبء الخطيئة الأولى، وأنه يميل ميلاً فطرياً إلى الشر، وأن الطلاق بين الزوجين محرم مهما كانت دوافعه التي لا تطاق، جعل لوثر يذهب إلى القول في علاقة بين الزوجين بهذه الشناعة: "لنفترض أنني يجب أن أنصحها، بموافقة الرجل -الذي ليس زوجها حقًا، ولكنه مجرد ساكن تحت سقف واحد معها-، أن تعطي نفسها لآخر، كما تقول شقيق زوجها، ولكن مع الحفاظ على سرية هذا الزواج ونسب الأطفال إلى ما يسمى بالأب المفترض. السؤال هو: هل مثل هذه المرأة في حالة مخلصة؟ أجيب بالتأكيد".(118) يعني: أن أي امرأة تتزوج من رجل عِنِّين يجب أن يُسمح لها -إذا وافق زوجها- بأن تضاجع رجلاً آخر لكي تنجب منه طفلاً، ويجب أن يُسمح لها بأن تدعي أن الطفل هو ابن زوجها.

وكان بإمكان لوثر أن يأتي بحل جذري لمثل هذه القوانين والأنظمة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وأن يدعوا الأمراء لتقنين الطلاق حفظًا للأعراض والحقوق، كما دعاهم إلى حفظ الأموال والممتلكات من سرقة البابا والإمبراطور!

والأمر نفسه يتكرر في الكنيسة اللوثرية المعاصرة، حيث نجدها غير واضحة في موقفها من القيم الأخلاقية، وأعضاؤها ومنظماتها مختلفين وغير موحدين حول تصور القيم الأخلاقية، فهم منقسمين في ذلك بين المحافظين الذين يحاولون حفاظ على تراث اللوثري بدقة، واللبراليين(119) الذين يرون تماشي مع المتطلبات العصر والتي تُبْنىَ على الحرية والعدل والمساواة مستدلين أن مؤلفي الكتاب المقدس عكسوا الأعراف الاجتماعية خاصة لعصرهم، وبالتالي لم تنطبق علينا جميع القواعد المحددة. لذا يرون أن العدالة المعاصرة تتطلب معاملة متساوية بين النساء والرجال، وهكذا بدأت الكنائس الليبرالية في تعيين النساء واعظات وأساقفة.(120) وليتبن ذلك بصورة أوضح لنرى موقفهم حول بعض القيم الأخلاقية:

اللوثرية والمثلية: قد ذكرنا أن كثير من الكنائس اللوثرية (الليبرالية)، سواء في الأوروبا أو في أمريكا توافق على زواج المثليين وتسمح بعقد القران لهم في كنائسها، بل وصل الأمر إلى أبشع من ذلك حيث وافقوا على تعيين قساوسة ورعاة للكنيسة من مجتمع المثليين سواء كانوا رجالا أو نساء. (121)

وفي المقابل فإن اللوثريين المحافظين لا يقبلون ذلك بل ينكرونه، ويعتبرونه مخالفة لتعاليم الكتاب المقدس، ولا يقبلون كذلك ترسيم النساء في كنائسهم. جاء تقرير ذلك فيما أعلنه الكنيسة اللوثرية - ميسوري سينودس(122) (LCMS): "تخضع المثلية الجنسية لحظر قاطع في العهدين القديم والجديد: "وَلاَ تُضَاجِعْ

---

(117) مارتن لوثر مقدمة قصيرة جدا: (ص 23).

(118) The Babylonian Captivity of The Church, (P. 59).

(119) يمثل تيار المحافظ في الكنيسة اللوثرية في الكنيسة اللوثرية - ميسوري سينودس (LCMS)، كما يتمثل تيار اللبرالي في الكنيسة اللوثرية في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا (ELCA).

(120) ينظر: https://www.patheos.com/library/lutheran/ethics-morality-community/principles-of-moral-thought-and-action

(121) ينظر: https://www.thelocal.se/20091109/23148/

(122) كلمة سينودس Synod هو تجمع عام وشامل لأساقفة الكنيسة اللوثرية لمناقشة إشكاليات إيمانية وعقائدية، وحياتية.

ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ"(123)؛ "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ...".(124). في مناقشة المثلية الجنسية يمكن للمرء أن يقف هنا عند حقيقة الإدانة التي قيلت في مثل هذه المقاطع. إذا نظرنا إلى المثلية الجنسية في ضوء السياق الكتابي الكلي فيما يتعلق بالغرض من الزواج والازدواجية بين الرجل والمرأة التي نوقشت أعلاه، فقد نصل إلى فهم أوضح لماذا أدان الفكر المسيحي الشهوات والأفعال الجنسية المثلية، ويجب أن يستمر في إدانتها".(125)

اللوثرية وتحول الجنسي: قبلت منظمة الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا (ELCA) متحولين جنسيًا كجزء من رعاياها، مبررين أن الكنيسة تخدم جميع شرائع المجتمع، بل وصل بهم الأمر أخيرًا أنهم قاموا بتعيين أول أسقف متحول جنسيًا.(126) ولا شك أن هذا القرار يعتبر قبولاً للرذيلة بل وتشجيعًا ودعمًا لمثل هذه السلوكيات الشاذة.

أما المحافظون من اللوثرية فقالوا أنه: لا يمكن التوفيق بين التحول الجنسي وشرح لوثر للمادة الأولى من قانون الإيمان. عندما يعترف اللوثريون بأن الله قد خلقنا وجميع المخلوقات، وأنه خلق أجسادنا وأرواحنا، وأنه من واجبنا أن نشكره ونحمده على هذا، فإننا لا نعترف فقط بأن الله هو خالقنا. نحن نعترف به أيضًا ربنًا، والمسؤول عن صنع الكون الذي له ملكية إلهية على كل ذرة من خليقته، بما في ذلك جسدنا. عندما يتجه الناس إلى التحول الجنسي لأنهم يرون أنه يوفر لهم الهروب من عالم منعزل ومقلوب لم يخصص لهم مكانًا، فقد صنعوا صنمًا لهذا العالم من خلال خوفهم منه أكثر من الله الذي يمكنه "أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ".(127) عندما يعتنق الناس التحول الجنسي لأنهم يشعرون بأنهم محاصرون بالهوية التي أعطاهم الله إياها، ويرغبون في التخلص منها من أجل هوية جديدة من خليقتهم، فهذا أيضًا عمل من أعمال عبادة الأصنام. إنها محبة الذات أكثر من الله، والثقة في أن المرء يعرف أفضل من الله كيف يعالج إحساسه بالانفصال.(128)

وفي الختام وامتثالا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، نقول: لا شك أنه ما زال يوجد لدى النصارى اللوثريين وغيرهم بعض الأخلاق الفاضلة، ولا يمكن أن ننكر أن منهم من يحافظ على القيم الأخلاقية تقربًا إلى الله -حسب معتقدهم-، لكن كثير منهم وقعوا في شباك رذائل التي بشأنها هاجم لوثر البابا وبلاطه في القرون الوسطى، ورأينا فيما مضى كيف صار كثير من أعضاء الكنيسة اللوثرية ومنظماتها داعمة ومشجعة للرذيلة والشذوذ ولفساد الخلقي، ومكنوا الفاسقين من إدارة الكنائس، ومنحوا الفرصة للشواذ أن يعظوا في منابر الكنائس، حيث صار كثير منهم مثل الذي يقول في منبر الكنيسة: اللهم أعطينا خبزنا اليومي، لكنهم معتادون دائمًا على أخذ الخبز من فم الآخرين!

الخاتمة:

- 1.أوضح المبحث الأول مفهوم الجديد الذي جاءت بها الكنيسة اللوثرية في جانب الديني، وأن لآرائها دور مهم في ظهور مدارس النقض في أوساط المسيحية.

---

(123) لاويين: (18: 22، 24)

(124) كورنثوس الأولى: (6: 9-10)؛ وينظر: رومية: (1: 26-27).

(125) Human Sexuality: A Theological Perspective, (p. 32-33), A Report of the Commission on Theology and Church Relations of the Lutheran Church-Missouri Synod 1981. وينظر: https://www.lcms.org/about/beliefs/faqs/lcms-views في مجموعة الأسئلة عن الأسرة وعلاقة الزوجية.

(126) لقد نشرت هذا الخبر في جريدة CNN الأمريكية. https://edition.cnn.com/2021/05/12/us/first-transgender-lutheran-bishop-megan-rohrer-trnd/index.html

(127) متى: (10: 28).

(128) ينظر: https://cbmw.org/2021/11/21/a-lutheran-view-of-transgenderism/

- 2. وأوضح المبحث الثاني آثار الكنيسة اللوثرية في النمط السياسي، وأنها فتحت من جديد جدل اللاهوت والسياسة، وأحدثت عدد من التغييرات.
- 3.وأما المبحث الثالث فقد تناول آثار الكنيسة اللوثرية على مجال الاجتماعي، وأنها شجعت النظرة الفردية.

وما يلي هي أهم نتائج هذا البحث:

- لقد لعبت الكنيسة اللوثرية بدور مهم في عملية الإصلاح الديني، وأن تعاليمها أثرت على عالم النصراني.
- قاوم اللوثرية نظام البابوي، وحارب فساد رجال الدين، لكنه في المقابل قام بنوع فصل الدين من الدولة، وأعطا للأمراء امتيازات لم تكن لهم من قبل.
- رفع اللوثرية شعار الحرية والتسامح، لكنها فشلت في ممارسة والتطبيق، حتى اتهم رجالها بأنهم ساروا مثل كاثوليكيين وبابا روما في الغطرسة والتعصب.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الكتاب المقدس.
3. آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، أمجد يونس الجنابي، الطبعة الثانية، مركز التفسير للدراسات القرآنية، الرياض-2015م.
4. اريخ أوروبا الحديث 1453-1848، ميلاد أ. المقرحي، الطبعة الأولى، المنشورات جامعة قاريونس، بنغازي-1996م
5. أزمة المسيحية بين النقد التاريخي وتطور العلمي، نعيمة إدريس، رسالة الدكتوراه بجامعة منتوري قسنطينة، الجزائر-2008م.
6. الإصلاح الإنجيلي بين الماضي والمستقبل، القس عازر عجاج، مجلة الناصرة الأكاديمية، يوليو 2017م.
7. الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي مارتن لوثر أنموذجا، كمال خرفي، بحث علمي بجامعة محمد خيضر بكسرة، الجزائر-2020م.
8. أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، هربرت فيشر، ترجمة: زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
9. أصول التعليم المسيحي الكتاخيسمس الصغير، مارتن لوثر، المركز اللوثري للخدمات الدينية، بيروت.
10. البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، مطابع الشناوي، طنطا-1991م.
11. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع الصهيوني، حسن يوسف، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-2000م.
12. تاريخ الأوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح لعشور، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت-2015م.
13. تاريخ الكنيسة المفصل، مجموعة من المؤلفين، ترجمة، صبحي حموي، الطبعة الثانية، دار المشرق-2015م.
14. تاريخ أوربا في العصور الوسطى، لبنى رياض عبد المجيد، محمد حمزة حسين، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع، عَمَّان-2015م.
15. تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة، 1984م.
16. التعصب بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، الطبعة السادسة، دار نهضة، مصر-2005م.
17. حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، أريج حوامدة، عالم الكتب الحديث، أردن-2022م.
18. حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ر. ك. سبرول، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، دار نوبار للطباعة، القاهرة 1992م.

19. الصهيونية تحرّف الإنجيل، سهيل التغلبي، الطبعة الأولى، مكتبة السائح، طرابلس-1999م.
20. علم الأخلاق المسيحية، القس فايز فارس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة.
21. العهد القديم دراسة نقدية، علي سري محمود المدرس، الطبعة الأولى، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-2006م.
22. الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه، جان إدوار سبنله، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بغداد-2022م.
23. قصة الحضارة، ول ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت- 1988م.
24. قصة مارتن لوثر، الكتاب عبارة عن مخطوط لا يذكر اسم المؤلف ولا دار النشر، طبع عام 1840م.
25. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
26. مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، الطبعة الرابعة، شركة الطباعة المصرية -2003م.
27. مدخل العهد الجديد، جون درين، ترجمة إيهاب جوزيف وفنيس نقولا، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة-2015م.
28. مدخل إلى الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، عيسى دياب، الطبعة الأولى، المدرسة اللاهوتية المعمدانية، لبنان-2009م.
29. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت-2006م.
30. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة، دار -الندوة العالمية-١٤٢٠هـ.
31. هل الكتاب المقدس وحده يكفي، الأب جون وايثفورد، ترجمة: أسرة القديس ديديموس، الطبعة الثانية، مطبعة دير شهيد مارمينا العجائبي، مصر-2005م.

مصادر الأجنبية:

1. The Encyclopedia of Protestantism, Hans J. Hillerbrand, Published New York 2004.
2. The European Reformations Carter Lindberg, Wiley-Blackwell, Singapore -2010.
3. A History of the Reformation, Thomas M. Lindsay, Edinburgh 2012.
4. Martin Luther, Michael A. Mullett, Rutledge, Neu York-2004.
5. Open Letter to The Christian Nobility by Martin Luther, I. The Three Walls of the Romanists.
6. Human Sexuality: A Theological Perspective, A Report of the Commission on Theology and Church Relations of the Lutheran Church-Missouri Synod 1981.
7. Works of Martin Luther, AGES Software Albany, USA-1997.